الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة
وزارة التّعليم العالي و البحث العلمي
جامعة ابن خلدون – تيارت –
كليّة الآداب و اللّغات
قسم اللّغة و الأدب العربي

فرع: الدّراسات الأدبية تخصّص: أدب حديث ومعاصر

مذكّرة تخرّج لنيل شهادة الماستر في الأدب واللّغة العربية

الموسومة بـ:

حوار الأنا و الآخر في رواية العطر الفرنسي لأمير تاج السر

إعداد الطّلبتان:
01– عائشة مختاري
02– فاطمة منور

إشراف:
د – عبد السلام بوشيبة

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د. محمودي بشير..... رئيسا
د.عبد السلام بوشيبة..... مشرفا و مقرّرا
د.مهيدي منصور..... عضوا و مناقشا

السّنة الجامعيّة: 2018م – 2019م/1439–1440 هـ

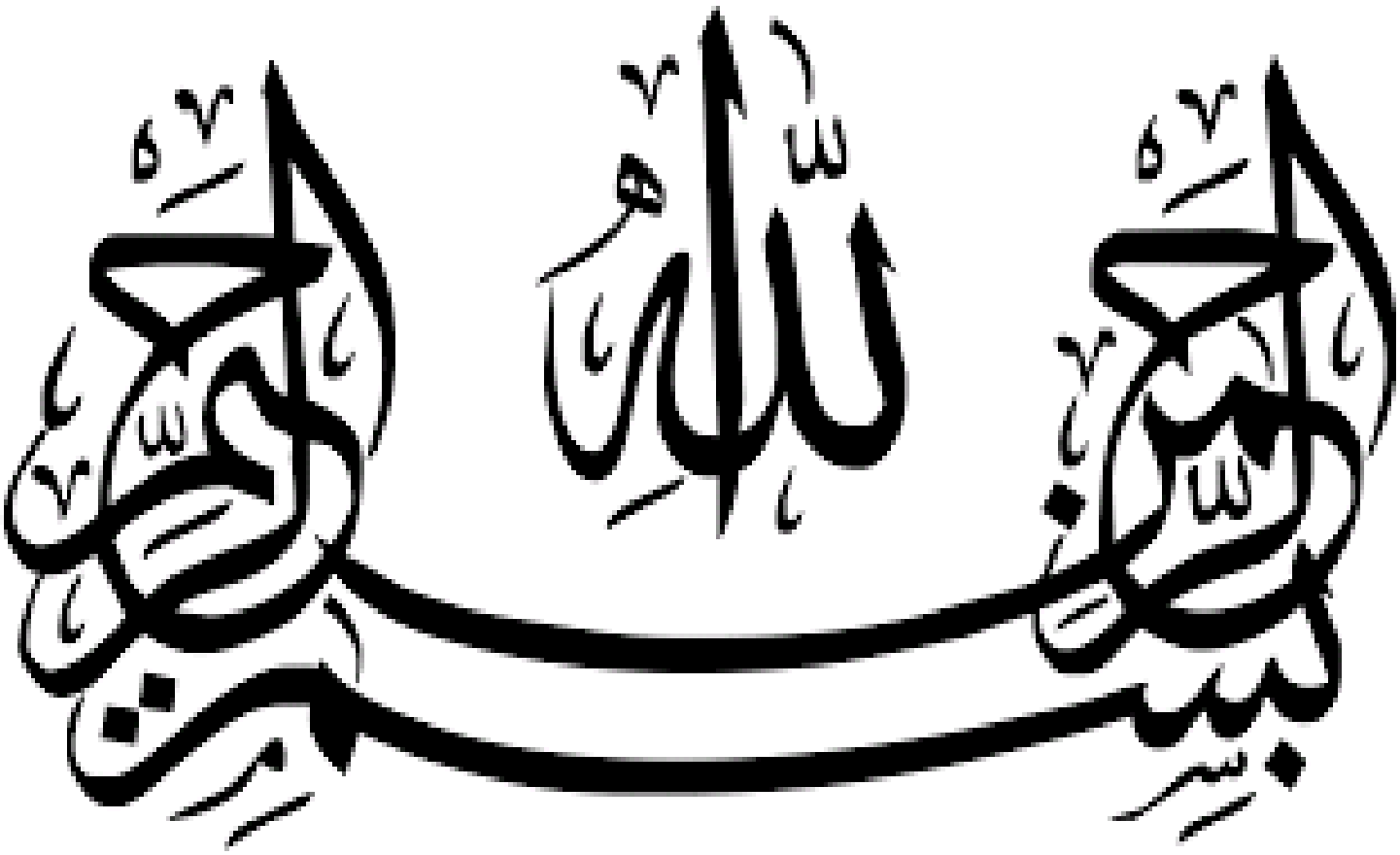
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الإِنسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾

الإهداء

"وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون"

الصلاة والسلام على سيد البشرية محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

إلى من تجرع الكأس فارغا ليسقيني قطرة حب

إلى من كلَّت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة، إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي العلم: أبي العزيز رحمه الله

إلى من أرضعتني الحب والحنان، إلى رمز الحب وبلسم الشفاء، إلى القلب الناصع: أمي الحبيبة

إلى أخواتي الغاليات

إلى إخوتي

إلى الذين بذلوا كل جهد وعطاء ولو بالكلمة الطيبة لتقديم العون لي

كما أهدي إلى من ساعدنا من قريب وبعيد. إلى كل زملائي وزميلاتي.

عائشة

الإهداء

أهدي ثمرة هذا الجهد إلى روح الرّوح وبلسم الجروح إلى والدي الكريمين حفظهما الله

إلى من أمطرت سماء الحب غيثاً لرؤيتهم إلى إخوتي و أخواتي

إلى صديقاتي مطربات ألحاني إلى كل من أمسك بيدي ليرسم على وجه الإبتسامة ممن عرفت وممن لم أعرف

فاطمة

شكر وعرفان

قال تعالى: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ سورة النمل، الآية 19

نشكر الله سبحانه و تعالى على نعمه، التي لا تعد و لا تحصى، فلك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك فلله الحمد من قبل و من بعد على توفيقه لنا في إتمام هذا العمل كما نتقدم بالشكر والعرفان للأستاذ المشرف عبد السلام بوشيبة، على صبره معنا وإشرافه وإرشاده لنا في كل مراحل إنجاز المذكرة

كما نشكر كل من ساعدنا من بعيد أو من قريب في إتمام هذا العمل، وكل الذين عبّدوا لنا الطريق في إتمام هذا العمل.

إلى كل هؤلاء ألف شكر وعرفان

مقدمة

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة و السلام على سيدنا محمد، و على آله و صحبه أجمعين، و على من تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين

أما بعد:

تستعرض الرّواية العربية في مختلف مواضيعها ثنائية الأنا و الآخر خاصة الرّواية الحديثة و المعاصرة، هذه الثنائية التي أثارت جدلًا على السّاحة الأدبية، نتيجة التّواصل الحضاري الواقع بين الشّرقي و الغربي، فكانت معظم الكتابات الرّوائية تصب اهتماماتها حول الآخر الغربي و ما يعنيه هذا الآخر بالنسبة للأنا، فبعض الرّوايات كانت نظرتها إلى الآخر نظرة سلبية و هذه النظرة كان سببها الإستعمار الذي أدان الذّات العربية و استولى على ثرواتها هذا ما ولّد عداوة بين الحضارتين الشّرقية و الغربية هذا من جهة و من جهة أخرى نجد بعض الرّوايات قدّمت صورة إيجابية نحو هذا الآخر نظراً لانبهارها بثقافته و تطلّعها على إنجازاته و ما حققه من تقدّم في جميع المجالات، و من ثمّ فإنّ تعدّد الرؤى حول الآخر في الرّواية العربية يتولّد في حقيقة الأمر حسب الحالة النّفسية و الشعورية للكاتب و حسب البيئة الإجتماعية التي ينتمي إليها، إنّ هذه التّوترات الحاصلة بين العالمين الشّرقي و الغربي هي التي فصلت بينهما فبفضلها تشكل ما يسمى بالأنا و الآخر.

ـ انطلاقاً من هذه التّعقيدات الموجودة بين الأنا و الآخر فإنّ هذا البحث جاء ليوضح العلاقة بين هاتين الثنائيتين و كيف نظرت الأنا العربية إلى الآخر الغربي من خلال رواية "العطر الفرنسي" "لأمير تاج السر"، و من أهم الأسباب التي دفعتنا لاختيار الموضوع، هي رغبتنا الشّخصيّة في الاطلاع عليه كما أنّ عنوان الرّواية لفت انتباهنا فأثار في نفوسنا الشّوق و اللّهفة إلى دراسة هذا الموضوع .

و عليه جاء طرحنا للإشكال الآتي: ما مفهوم الأنا؟ و ما مفهوم الآخر؟ و ماهي طبيعة العلاقة بينهما وكيف تجسدت ثنائية الأنا والآخر في رواية العطر الفرنسي ؟

و للإجابة عن هذه التساؤلات إعتمدنا على المنهج التحليلي الوصفي، الذي رأينا بأنّه الأنسب و الملائم للموضوع.

و قد كان اهتمامنا بهذه الرّواية حتى بادرنا إلى دراسة هذا الموضوع الموسوم ب: **"حوار الأنا و الآخر في رواية العطر الفرنسي لأمير تاج السر "**، فارتسمت خطةُ بحثٍ لتتشكل من مدخل و فصلين.

ـ **الفصل الأول**: كان موسوما ب الأنا و الآخر في المنظومة الفكرية و قسمناه إلى ستة مباحث، في المبحث الأول: حدّدنا مفهوم الأنا والآخر و المبحث الثاني: درسنا مفهوم الأنا و الآخر في القرآن الكريم، و المبحث الثالث: تناولّنا مفهوم الأنا و الآخر في الفلسفة، والمبحث الرابع: مفهومهما في علم النفس، والمبحث الخامس: مفهومهما في علم الإجتماع، أمّا المبحث السادس: وضّحنا فيه العلاقة بين الأنا و الآخر.

ـ **أما الفصل الثاني**: كان معنوناً بتجليات الأنا و الآخر في رواية "العطر الفرنسي"، و قسّمناه إلى ست مباحث و هي: المبحث الأول: كانت الدّراسة فيه حول العنوان، و المبحث الثاني: تناولّنا فيه قضايا الأنا "النّحن"، و المبحث الثالث: درسنا فيه صورة الآخر، و المبحث الرابع: كانت دراستنا فيه حول تقبل الآخر، و المبحث الخامس: بيّنا فيه تمثلات العلاقة بين الأنا و الآخر، أما المبحث الأخير: حول الأنا بين الانبهار و خيبة أمل.

و **ختمنا** بحثنا بأهم ما توصلنا إليه من نتائج، و اعتمدنا على مجموعة من المصادر و المراجع شملت كتب و مجلات علمية و ملتقيات أكادمية و من أهم الكتب المعتمدة: كتاب التجليات الفنيّة لعلاقة

الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر لأحمد ياسين السليماني، وكتاب الإختلاف الثقافي و ثقافة الإختلاف لسعد البازعي.

و من بين الصّعوبات التي واجهتنا أثناء إنجاز هذا البحث كثرة المصادر و المراجع و قلّة الخبرة في إنتقاء المعلومات و التّعامل مع المادّة العلميّة المدروسة، و عائق الإضرابات التي حلّت بالحرم الجامعي بسبب المسيرات التي زعزعت إستقرار البلاد مما أدى إلى تشتت الأفكار، ورغم كلّ هذا بذلنا قصارى جهدنا لإتمام هذا البحث.

و في الأخير نحمد الله تعالى الذي أعاننا على إنجاز هذا البحث، كما نتقدّم بجزيل الشكر إلى الأستاذ الفاضل "عبد السلام بوشيبة"، الذي لم يبخل علينا بعلمه و كان لنا دعماً و سنداً في إنجاز هذا البحث، كما نتوجّه بجزيل الشّكر أيضاً إلى لجنة المناقشة التي تكبّدت عناء قراءة هذا البحث، و أخيرا نشكر كل من ساعدنا و لو بالقليل في بحثنا هذا، و ندعو الله لنا و لكم التوفيق و السداد في الحياة.

ـ سبحانك اللّهم و بحمدك، نشهد أنّ لا إله إلاّ أنت، نستغفرك و نتوب إليك.

تيارت / الجزائر
23 جوان 2019
الموافق لـ 20 شوال 1440 هـ
عائشة مختاري – فاطمة منور

مدخل

الآخر في الرّواية العربية

ـ الصّراع بين الشّرق و الغرب

ـ صورة المرأة الغربية في الرّواية العربية

الصّراع بين الشّرق و الغرب:

تحفل الرّواية العربية خاصة الحديثة و المعاصرة بدراسات شتى تتمحور حول موضوع "الآخر" الذي يتميّز بصفته عضوا فعّالاً و عنصراً أساسياً في بناء الشّخصية عامةً و الرّوائية خاصّةً.

"و بالنسبة للرّواية فإنّها حواريّة تتضمن أساليب و أصواتاً مختلفةً تتكلم بعضها مع بعض، و مع أصوات من خارج الرّواية، يتناوب فيها صوت الرّاوي و أصوات الشّخصيّات، و تعتبر هذه الأصوات المتعددة الأساس الأوّل من أجل إلقاء الضوء على "الآخر" في الرّواية، فمظاهر الرّواية، و طبيعتها، و اشتغالها، تكفي لأن يقال أنّ الرّواية هي إحتمال الآخر، لأنّها منظمة بشكل يسمح لكل صوت فيها أن يمتلك ذاته عن طريق تحديد نفسه عن طريق الآخر، و أن يعني ذاته، لأنّ وعي الذّات غير ممكن إلاّ إذا تحقق عبر الآخر، ليست الرّواية تعبيراً عن وعي شخصٍ واحد، إنّما إضاءة لوعي أشخاص آخرين مختلفين، من أجل الآخر تنشأ الحبكة الرّوائية، و تُكْتَبْ الرّوايات و تذرف الدّموع و من أجل الآخر تقام كل الصّروح. هكذا إذن فالآخر موجود في الرّواية بحكم طبيعتها. "[1]

فالكاتب تكون له مقدرة في فنّ السّرد و الرّؤيا لا يمكن أن تكون رؤيا فردية بل يجب أن تعبّر عن الجماعة، فالرّواية قادرة على أن تعبّر على مجتمع بكلّ تفاصيله و ذلك إنطلاقاً من تصوير الكاتب للواقع الذي يعيشه مجتمعه، لذلك فإنّ توظيف "الآخر" شرط أساسي في الرّواية، و بما أنّ الرّواية العربية تحدثت عن "الآخر"، ذلك "الآخر" المتمثّل في الغرب فإنّها سعت لرسم الحدود الفاصلة بين "الأنا" المتمثّلة في الشّرق و "الآخر" المتمثّل في الغرب.

[1] ـ تمثيلات الآخر في الرواية العربية: أبحاث ملتقى الباحة الأدبي الرابع، الإنتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص: 390 ـ 391.

"و لعلّه من المفيد أن نمسّ إشكالية هذه العلاقة بين الشّرق و الغرب تاريخيا لنعبّر عن ملامح الإتّصال الحضاري بينهما و الأسباب التي ساهمت بدورها في تفعيل الحوار الثقافي و الصّراع الإيديولوجي بين هذين العالمين الشّرقي و الغربي." [1]

ـ يظهر الحوار الثّقافي و التّواصل بين الشّرق و الغرب نتيجة التّأثّر و التّأثير، حيث نجد أنّ

الإرهاصات الأولى التي ساعدت في تنمية التّفاعل بين الطرفين جاءت مع الغرب أي "الآخر" و ذلك بفضل التقدّم الذي أحرزته الدول الغربية و كذلك فرض سيطرتها على شعوب العالم العربي التي ترى بأنّه عالم متخلف ثقافياً و اجتماعياً و دينياً و سياسياً، والغرب يرى في نفسه أنّه تلك القوّة الجبّارة و المتسلّطة و التي تملك النّفوذ و القوّة فهو المتفوّق دائما، فهو يسعى إلى تشويه صورة العالم العربي.

و عليه" فإنّ إفتخار "الآخر" بمكانته و محاولته الظّهور بمظهر القّوة و التّسلط للهيمنة على ثروات دول الشّرق و التّحكم بشعوبها هو ما جعل الجدليّة بين الطّرفين (الشّرق و الغرب) تظهر بوضوح في الكتابات الأدبيّة بشكل عام و الرّوائية بشكل خاص، حيث نجد بأنّ الرّوائيين العرب أبدعوا في كتابتهم في تصوير المعني الحقيقي "للآخر" سواءاً في الجانب الإجتماعي أو الثقافي أو السياسي أو الإقتصادي، بحيث أنّه لم يعد مفهوم "الآخر" يعني الأجنبي فقط بل حتى من يعيش معنا هو كذلك "آخر".

"و لقد أصبح إهتمام الرّوائيين المعاصرين متّجها إلى قضايا الرّشوة، و الفساد السّياسي و الإداري، و تجبّر السّلطة، و فساد الأخلاق." [2]

[1]ـ ينظر: د. المثنى مد الله سليمان العساسفة، اللقاء الحضاري بين الشرق و الغرب (دراسة مقارنة في مختارات من الرواية العربية و الهندية)، دار جليس الزمان، عمان، الأردن، ط1، 2014، ص: 12.

[2]ـ تمثيلات الآخر في الرواية العربية: أبحاث ملتقى الباحة الأدبي الرابع، المرجع السابق، ص: 47.

ففي حقيقة الأمر أنّ الإختلاف الموجود بين الأدباء و الرّوائيين حول تحديد مفهوم "الآخر" يجعل الفرق ظاهرا في كتابتهم من خلال إعطاء الصّورة الثابتة و المطلقة لتصرفات هذا "الآخر" و فكره و اتجاهاته و رؤيته "للأنا" و ما يقوم به إتجاهها و ما يقدّمه لها.

"و الرّواية العربية المعاصرة توجّهت بشكل بدا تلقائياً إلى المواضع الأكثر سخونةً و توترًا في المفاصل التي يبتدئ منها و عبرها ما يجعل الآخر آخرًا، و ما من شكٍ في أنّ كل سرد يعني بالضرورة سردًا للآخر غير أنّ البحث إقتصر على المواضع التي طرقت فيها الرّواية العربية فكرة الآخرية و سردت (آخرها) بشكل مميّز من الناحيتين الفنّية و الفكريّة أي المواضع الأكثر سخونة كما سبقت الإشارة و المواضع التي يلتبس فيها مفهوم الآخرية بمفاهيم الذّات أو يشكل خطورةً

عليها، أو سعياً إلى قهرها و إلغائها و يتمتّع تناولها بالعمق و ثراء الدّلالات." [1]

" اللاّفت للنّظر أنّ معظم الرّوايات العربيّة التي تناولت "الآخر" الغربي قد جعلته المقابل "للأنا" الشّرقي، و هو الأمر الذي جعل هذه العلاقة تتعرض إلى الكثير من الشدّ و الجذب الفكري و الدّيني منذ قرون فقد دارت مساجلات فكريّة طاحنة حول الشّرق و الغرب، و نشأت مدارس فكريّة و تخصّصات أكاديمية، و ظهر على السّاحة مفكّرون من الجانبين [الشّرقي و الغربي] أمعنوا النّظر في هذه العلاقة نشأةً و تطوراً و دراسةً لعوامل التقارب و التعايش أو الفرقة و العزلة و الصّراع." [2]

- إنّ تناول الرّوايات العربية لثنائية "الأنا" و "الآخر" لم يكن عشوائيًا بل جاء نظرا لإحتدام الصّراع بين "الأنا" الشّرقي و "الآخر" الغربي و توتر العلاقة الموجودة بين هاتين الثنائيتين المختلفتين و المتعارضتين

[1]- صلاح صالح، سرد الآخر، الأنا و الآخر عبر اللغة السردية، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2003، ص: 11.

[2]- تمثلات مجلة أكاديمية تعنى بالدراسات الأكادمية في الأدب و اللغة و الثقافة و الفكر، يصدرها مخبر "التمثلات الفكرية و الثقافية: إبداع، تواصل، نقد" كلية الآداب و اللغات"، جامعة مولود معمري - تيزي وزو، العدد الأول(1)، جانفي 2015، ص: 117.

في الكثير من المواضع منها ما يتعلق بالإستعمار من جهة و منها ما يتعلق بالتّطور و التّقدّم الملحوظ من طرف الغرب من جهة أخرى، هذا و قد أشرنا سابقا إلى أنّ "الآخر" متعدّد في الرّواية و لا يعني دائما الغربي أو الأجنبي.

"إنّ المتتبّع لحركة الإبداع الرّوائي العربي يجد أنّ "الآخر" في هذه الأعمال لم يقتصر على الآخر الغربي أو الأجنبي، فقد تناولت الأعمال المتأخرة (الآخر) ضمن مفهومه الأوسع الذي يضم كل

من يخرج عن التّكوين الإجتماعي (للأنا) بكل ما يحمله من الأطياف الإجتماعية المختلفة، و بما يحظى به الأفراد في سياقه من هويّة و نمط عيش و موقع حضاري يميّزهم عن محيطهم العربي و العالمي. إنّ كل آخر في الرّواية يعد نقطة صراع تختلف أبعادها و تؤكّد بدرجات مختلفة أزمة المجتمع مع هذا الآخر و إن تباينت الرؤى الجزئية عند الكتّاب." [1]

و من هذا المنطلق نجد بأنّ الرّواية العربية ترى في "الآخر" ذلك الطرف المقابل و المعاكس "للأنا" بمختلف معانيه و اتجاهاته، فهي تدرس "الآخر" بطرق مختلفة، تختلف من روائي إلى "الآخر"، فكل روائي يرسم "الآخر"و يصوّره في الرّواية حسب ما يتجسّد له في فكره عن هذا "الآخر" و قد يكون "الآخر" الصّاحب أو "الآخر" الضّد.

"كما تتسم صورة الآخر في الرّواية العربية بمجموعة من الثّوابت و الخصائص و المميّزات و المكوّنات و السّمات الدّلالية و الفنيّة و الجماليّة، يمكن حصرها فيما يلي:

1 ـ تندرج صورة الآخر ضمن مبحث الأدب المقارن الذي يرصد علاقة التّأثير و التأثّر بين الآداب العالميّة، و يعنى بطبيعة الحال بالعلاقات الموجودة بين الأفراد و الجماعات و الشّعوب.

[1] ـ تمثلات مجلة أكادمية تعنى بالدراسات الأكادمية في الأدب و اللغة و الثقافة و الفكر، المرجع السابق، ص: 120.

2 ـ ترتكز صورة الآخر في الرّواية العربية على علاقة الأنا بالآخر سواءاً أكانت علاقة إيجابية أم سلبية.

3 ـ تحمل الرّواية العربية منذ القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا مجموعة من الصّور و الرّؤى إتجاه الآخر كالنّظرة الإنبهارية الإيجابية إلى تفوّق الإنسان الغربي حضارياً و ثقافياً و علمياً و تقنياً و سياسياً و حقوقياً، و النّظرة الأخلاقيّة السّلبية من قبل الأنا الملاحظة إلى كون الحضارة الغربية حضارة مادّية إباحيّة لا تهتم بالقيّم و الشّرائع و الرّوحانيات.

4 ـ يلاحظ أنّ رواية صورة الآخر في مسيرتها الحضارية قد إنتقلت من أشكال سرديّة تعلميّة و تربويّة (المقامة و المقالة و الرّحلة.....)، كما في روايات كل من "رفاعة الطهطاوي" و "فارس الشدياق" و "فرح أنطوني" و "علي المبارك"، إلى الرّواية الفنيّة النّاضجة جمالياً و أدبياً، و الخاضعة لقوانين جنس الرّواية كما عند "طه حسين" و "الطيب صالح"، و "عبد المجيد بن جلون" و غيرهم.....

5 ـ إعتماد روايات صورة الآخر على الطابع البيوغرافي تارةً و الطّابع الأوطوبيوغرافي تارة أخرى، مع إستخدام أسلوب التذويت و الإرتكان إلى المنظور الدّاخلي و إستخدام الرّاوي المشارك للشّخصية داخل القصّة تحبيكاً و تخطيباً.

6 ـ إنتقال رواية صورة الآخر من سيرة التّسجيل للأحداث و الوقائع إلى سيرة التّخييل الفنّي و التّشويق الأدبي." [1]

و من ثم فإنّ صورة الآخر في الرّواية نجدها مجسدة في العلاقة القائمة بين "الأنا" و "الآخر"، و طبيعة تعامل الطرفين مع بعضهما البعض و النّظرة التي يحملها كل طرف منهما "للآخر" بحيث تختلف من نظرة إيجابية إلى نظرة سلبيّة حسب الرّؤيا أي رؤية "الأنا" لهذا "الآخر" من حيث هو عدواني متسلّط

[1] ـ تمثيلات الآخر في الرواية العربية، أبحاث ملتقي الباحة الأدبي الرابع، المرجع السابق، ص: 217 ـ 218.

و هذا الجانب سلبي و من حيث هو طرف مثقّف و متطوّر و متقدّم من جهة أخرى و هذا الجانب إيجابي.

"و من هنا فإنّ تحديد (الآخر) يتضمن موقفا أخلاقيًا ينضم إلى الموقف المعرفي، من خلال الموقف الأخلاقي، تحدّد مكانة الآخر، هل هو جيّد أم رديء، خيّر أم شرير، مقبول أم غير مقبول، و هكذا فالشّرق مثلا ليس مجرد (آخر) جغرافي للغرب، و إنّما هو آخر أخلاقي أيضا، أي في موقع قيمي و هذا الموقع قد يكون إيجابياً أو سلبياً حسب النّاظر إليه، و كذلك هو الحال حين يكون الغرب (آخر) للشّرق بالنسبة للشّرقيين، و يبدو أنّ هذا الموقع القيمي هو الذي يحدّد مفهوم الآخر في المنظور الشّعبي، حيث تسيطر الرّؤيا الإقصائيّة التي تتسم بالتطرّف سواء في الإعجاب أو الكراهية أو الخوف. و إذا كانت الثّقافة العالميّة ليست بمنأى تماما عن هذه النظرة الإقصائيّة، فإنّها أقدر على مناقشتها و التّخفيف من حدّتها أو التخلّص منها." [1]

"و معني هذا أنّ "الأنا" لم تفكر في الغرب "كآخر" عدو إلاّ عندما أثار هذا الأخير إهتمامها عبر عمل إستفزازي و أيقض في أعماقها خوفها منه، و استثار حقدها عليه، و أصبح يمثّل في نظرها مركزا سلبيّاً يهدّد و جودها." [2]

أي أنّ الذّات العربية لم تتخذ من الغرب موقفا عدائياً و لا طرفاً سلبيّاً إلاّ من خلال ما قدّمه هذا "الآخر" لهذه "الأنا" من مخاوف نتيجة فرض الهيمنة عليها و التّدخل في شؤونها و هذا ناتج عن إنغراس "الآخر" في أرض "الأنا" و اختراقه لمكانه و زمانه، "فالآخر" هنا نجده يشكل تغيّراً محورياً على "الأنا" العربية.

[1] ـ سعد البازعي: الإختلاف الثقافي و ثقافة الإختلاف، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2008، ص: 36 ـ 37.

[2] ـ العلاقة مع الغرب من منظور الدراسات الإنسانية، كلية الآداب، جامعة اليرموك، عالم الكتب الحديث، عمان، ط1، 1430هـ ـ 2009م، ص: 106.

صورة المرأة في الرّواية العربية:

و في واقع الأمر نجد بأنّ الرّواية العربية عالجت موضوع "الأنا" و "الآخر" بفنيّة عالية حيث أنّنا نجد بعض نصوصها قد إعتمدت على المواجهة المباشرة بين الشّرق و الغرب نظراً لإحتكاك الذات الشرقية بالآخر الغربي هذا الإحتكاك الذي نتج عن التطلع الحضاري للغرب و الهجرة إليه سواءاً أكانت هذه الهجرة للدّراسة أو لأسباب أخرى قد تكون سياسيًا غالبا كالإغتراب وغيرها من العوامل التي ساهمت في استيعاب هذا "الآخر"، فكثير من الرّوايات العربية ساهمت وبقوّة في إحداث بعض التوافق بين الذات و "الآخر" فقد مثّلت في كثير من الأحيان الأنا العربية بالرجل و الآخر بالمرأة الأوربية عامة و الغربية بصفة خاصّة، لذلك يبدو دور المرأة بارزا في الرّوايات العربية، فقد أبدع الروائيين العرب في وصفهم للغرب عن طريق هذه المرأة و ما تقدّمه من إغراءات "للأنا" أي الرّجل أو الغرب كما يعبّر عنه، فسيطرة المرأة على عقل الرّجل و مشاعره هي تمامًا مثل سيطرة الإستعمار على المستعمر لذلك جاءت كتابات معظم الرّوائيين تتحدث عن المرأة و كيفية استقبالها و التعايش معها، فهذه المرأة تعتبر رمزًا للتّعبير عن "الآخر" و كيف يمكن لها أن تؤثّر على "الأنا"، بل إنّ لجوء بعض الرّوائيين إلى وصف المرأة هو ما جعل منهم الوصول إلى معرفة هذا "الآخر" و كيفيّة التّواصل معه، أو لوضع مقارنة بين ما يحمله المجتمع العربي من قيّم و أخلاق و عادات و تقاليد و ما يحمله المجتمع الغربي و بيان حقيقة كل من الطّرفين.

"تشير صورة المرأة الغربية التي تقدمها لنا النماذج الرّوائية أهميّة في ورقتنا كون المرأة أبرز الرّموز التي يعبّر بها في الأدب عن الوطن أو الأوطان و عن العلاقات، كما هي، في الحقيقة، تكاد تعني على أرض الواقع. و رجوعاً إلى مجموع تلك الصّور نجد أنّ مستويات العلاقة و دلالاتها هذه بين الشّرق و الغرب، أو بيننا و بين الآخر، لا تكاد تتعدى ثلاثة و هي:

ـ المستوى الأول: و يعني رفض اللّقاء بالآخر.

ـ المستوى الثاني: و يعني الرّيبة بالآخر و التحفّظ على العلاقة.

ـ المستوى الثالث: و يعني أحد الأمرين: النّظرة الإنسانية إلى الآخر و إمكانيّة إقامة العلاقة به

و نظرة الإعجاب بالآخر و الدّعوة أو ربما التحمّس لإقامة العلاقة به." [1]

إنّ فهم علاقتنا بالغرب أو "الآخر" عن طريق تصوير المرأة الغربيّة في الرّوايات يكون نتاج هذه المستويات الثّلاثة التي سبق لنا ذكرها منها الرّفض و التسلّط، و الإعجاب، فإمّا أن يكون هناك

رفض قاطع "للآخر" و عدم تقبّله و إمّا أن يكون هناك تجبّر و تعالي على هذا "الآخر" أو يكون إقبال عليه و إقامة علاقة معه، غير أنّنا نجد بأنّ الرّوايات العربية على المستوى الأوّل هو الأكثر بروزا و يتجلى كثيرا في هذه الرّوايات و الذي يمثل الرّفض المطلق "للآخر"، حتى أنّه لا يمكنه أن يسعى لإقامة أي علاقة معه و تجنبه بشتى الطرق و الوسائل.

"هذا الوصف الذي قدّمه الكاتب الرّوائي العربي من خلال المرأة و تركيزه عليها كوعاء حضاري له دلالته، يثري السرد و يزيده عمقا و شمولا." [2]

و هذا يدل على قوة العلاقة المضطربة بين الطرفين فهي متوتّرة حيث تكون أحيانا سلبيّة و هذا ما يعبّر عنه بالصّراع القائم بينهما في هذا اللقاء و أحيانا إيجابية تتمثل في قوة التّواصل و الإتّصال.

[1] ـ العلاقة مع الغرب، من منظور الدراسات الإنسانية، كلية الآداب، جامعة اليرموك، المرجع السابق، ص: 514.

[2] ـ ينظر: أ.د. حنفاوي بعلي، تمثلات الممنوع و المقموع في الرواية العربية المعاصرة، العلمية للنشر و التوزيع، عمان، د.ط، 2015، ص: 9.

" إنّ خليفة العلاقة بين الذّات العربيّة و الآخر المستعمر مؤسّسة على ذهنيّة التّصادم و الصّراع وفق معادلة طرفها الأوّل تحكمه قوة إستعماريّة تريد فرض هيمنتها و سطوتها بأساليب الرّدع و الإذلال ، أما طرفها الثّاني فتحكمه قوّة روحيّة مستمدّة من التّشبث بالقيّم الإنسانيّة النّبيلة في أبعادها الشّرقية" [1]

هذا يعني أنّ العلاقة بين "الأنا" و "الآخر" مبنيّة على الصّراع و الإختلاف بين المسْتَعمِر والمستَعْمَر.

(الغرب و الشّرق) فالغرب يريد السّيطرة و الهيمنة و فرض القوّة على هذه الذّات العربيّة، فأمّا الشّرق فيظهر بتمسكه بقيّمه و أخلاقه و محافظته على بلاده من هذا المستعمِر.

" و هناك العديد من الرّوايات التي تناولت موضوع الأنا و الآخر نذكر منها:

1 ـ ليلة في القطار: عيسى الناعوري 1974

2 ـ سباقات المسافات الطويلة: عبد الرحمان منيف 1979

3 ـ يوميات السيد علي سعيد: عدنان رؤوف 1979

4 ـ نورا، ناجي التكريتي 1981

5 ـ و تشرق غرباً: ليلى الأطرش 1987

6 ـ العزف في مكان صاخب: علي خيون 1987

7 ـ الثلج الأسود: **محمد** أزوقة 1988.

8 ـ أمس كان غدا: كاظم الأحمدي 1992.

9 ـ ذاكرة الجسد: أحلام مستغانمي 1993.

10 ـ الميراث: سحر خليفة 1997." [1]

[1] ـ تمثيلات الآخر في الرواية العربية، أبحاث ملتقي الباحة الأدبي الرابع، المرجع السابق، ص: 212.

" إنّ هذه الرّوايات العربية، قد اهتمت بلقاء الشّرق و الغرب إستجابة لكُتّابها لهذا اللّقاء بتمثّل أشكاله و مناقشة قضاياه أحيانًا، و تجسيد رؤاهم له غالبًا. و كان ذلك طبيعيًا في ظل إنفتاح العرب على الغربيين، و بشكل أكثر تحديدًا الأوربيين قبل أن يشمل الأمريكان في وقت لاحق، و انفتاح الغربيين على العرب، ليطرح ذلك لضرورة علاقة كل من الطرفين مع الطرف الآخر في ظل الإختلافات الكثيرة ما بين الإثنين، وكان من الطّبيعي أن تقود هذه الإختلافات الكثيرة إلى اتّخاذ الأدباء العرب في تناولهم لموضوعة العلاقة بالآخر المواقف المختلفة منه و من إقامة العلاقة معه وفقاً لقوّة المؤثّرات و الظّروف المختلفة لكنّها في خطوطها الأساسيّة، و من ناحية إيجابية الموقف و سلبيّة، تندرج عادةً وفق المواقف الأتية:

1 ـ الحماسة للآخر و للعلاقة به

2 ـ الموقف الحيادي أو غير المنحاز للقاء و لا لمعارضة.

3 ـ رفض الآخر

4 ـ الصّدام بالآخر و مقاومته " [2]

ـ لقد حاولت الرّواية العربية أن تجعل من الآخر موضوعاً مهمًا في الخطاب السّردي مع تقديم رسالة للمتلقي عن هذا "الآخر" و محاولة فهمه و إعطائه المعنى الحقيقي له و كذلك بيان أوجه الإختلاف و الإتفاق بين "الأنا" و "الآخر" و تعزيز العلاقة بين الثنائيتين فهما أساس الإتصال و التواصل و هما أساس في صناعة الوجود الحضاري و إقامة الحوار و هذه حقيقة في الإنسان فهو لا يمكنه

[1] ـ العلاقة مع الغرب، من منظور الدراسات الإنسانية، كلية الآداب، جامعة اليرموك، المرجع السابق، ص: 500.

[2] ـ المرجع نفسه، ص: 500.

أن يعيش بمعزل عن "الآخر" فالرّواية العربية رأت بأنّ "الأنا" و "الآخر" أصبحت مشكلة حقيقية يجب معالجتها، لذلك فإنّ النّصوص السّردية اجتهدت في الإشارة إلى"الآخر" ذلك "الآخر" السلبي فهي تطرح إنعكاس "الآخر" الغربي على المجتمعات العربية و محاولة معالجة هذا الإنعكاس بالتحرر من هذا "الآخر".

الفصل الأول

حوار الأنا و الآخر في المنظومة الفكرية

ـ توطئة

ـ مفهوم الأنا و الآخر

ـ في القرآن الكريم

ـ في الفلسفة

ـ في علم النفس

ـ في علم الإجتماع

ـ العلاقة بين الأنا و الآخر

توطئة

من أهم القضايا التي شغلت الباحثين، هي قضيّة "الأنا" و "الآخر"، بحيث تعدّدت الآراء واختلفت في تحديد مفهوم جامع مانع لهذين المفهومين، لذلك كانت محلّ اهتمام مختلف العلوم مثل علم الفلسفة والنّفس و الإجتماع والدّين، فكل علم من هذه العلوم قدّم مفاهيم لهذين المصطلحين حسب المجال الذي ينتمي إليه، ورغم اختلاف هذه العلوم إلاّ أنّنا نلتمس تقاربات في ضبط هذه الثنائيّة، كما أنّ العلاقة بين "الأنا" و"الآخر" لقيت هي الأخرى جانب من الدّراسة ضمن هذه العلوم.

مفهوم الأنا و الآخر:

لقد شاع في الآونة الأخيرة مصطلح الأنا والآخر، و هذا الموضوع يعتبر من أهم الموضوعات التي شغلت الدّارسين والباحثين، باعتبار هذه الثنائيّة قائمة على الإتصال والتّواصل وكلاهما يكمّل الآخر، ولأنّ الطّبيعة الإنسانيّة تفرض على الذّات أن تعيش مع غيرها،فتجعل "الأنا" يرتبط "بالآخر" لضمان إستمراريّة الحياة.

أولا: مفهوم الأنا:

تعدّدت الأراء و اختلفت في تحديد مصطلح الأنا حيث:

"الأنا هو ضمير يعود على من ينطق به، فأنا تشير إليّ و أنت تشير إليك وهم تشير إلى من لم يكن أنا وأنت، ونحن تحتوينا، وتستثني غيرنا." [1]

- و"الأنا" يعرف بأنّه :"هو ضمير متكلم قائم بذاته و لذاته." [1] فالأنا مستقلّة بذاتها وتختلف عن الذّوات الأخرى، المغايرة لها، فكل "أنا"لها ما يميّزها عن غيرها.

[1] . د. عقيل حسين عقيل: منطق الحوار بين الأنا و الآخر، دار الكتاب الجديد، الأمم المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص: 131.

ـ"وكذلك نجد أنّ "الأنا" عبارة عن مجموعة القيّم الأصليّة والمبادئ العليا التي جاء بها الدّين الإسلامي إضافة إلى التّجربة التاريخيّة التي قام بها المسلمون، على هدي تلك القيّم والمبادئ... ..فحينما نستخدم مصطلح "الأنا" أو "الذّات" فإنّ المقصود من ذلك هو القيّم المعياريّة لمتعالية على الزّمان و المكان مع تجربة إنزال تلك القيّم المعيارية المطلقة على الواقع النّسبي و المتحرك و المتغيّر." [2]

وعليه فإنّ "الأنا" هي كلّ القيّم النّبيلة والأخلاق الحميدة، المنتقاة من الدّين الإسلامي من خلال مامرّت به هذه "الأنا" عبر التّاريخ .

ـ وفي تعريف آخر للأنا فإنّ "الأنا" هي الذّات ـ التي هي نقيض للآخر بما تمثّله الأنا على المستوى: الشّخصي، والقومي، والفكري، والثّقافي، و الإجتماعي، والسّياسي، و الإقتصادي،

والواقع أنّ الذّات ليست شيئاً موروثاً لدى الإنسان، وإنّما يتشكل خلال التفاعل مع البيئة التي يعيش فيها إبتداءاً من الطّفولة وعبر مراحل النّمو المختلفة. كما أنّ الوعي بالذّات يبدأ ضيّقًا عند بداية حياته، وينمو ويتطور باتساع البيئة التي يتعامل بها، ومن خلال الخبرات الجزئيّة

[1] ـ د. أحمد ياسين السليماني: التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، دار الزمان،دمشق، سوريا، ط1، 2009، ص: 104.

[2] د. سوسن البياتي: النهضة الفكرية وأثرها في الصراع مع الآخر، مجلة آداب الفراهيدي، عدد خاص مؤتمر الآداب الرابع، (العدد03)حزيران 2010، ص:71.

والمواقف التي يمرّ بها الفرد في أثناء محاولته للتكيّف مع البيئة المحيطة به." [1]

"الأنا" هي كل ما يختلف عن الآخر، مع أنّ الذّات و "الأنا" مصطلح واحد فإنّ هذه الذّات ليست مكتسبة لدى الإنسان بل تختلف ضمن البيئة التي تعيش فيها من خلال تفاعلها مع محيطها.

[1] ـ د. محمد كمال سرحان: الذات و الآخر في رواية (حب في كوبنهاجن)لمحمد جلال، مجلة جامعة الناصر، العدد السادس، مج1. يوليو- ديسمبر 2015، ص243.

ثانيا: مفهوم الآخر:

ـ لقد أخذ مفهوم الآخر مجالاً واسعا عند المفكرين و النّقاد حيث كانت هناك تعاريف كثيرة و مختلفة لهذا المصطلح، "فالآخر يقصد به الغير أو الشّخص المماثل أو المقابل لنا، كما يقصد به "الأنا" الأخرى التي ليست أنا، كما تحيل على الذّات، الغيريّة الأخرى التي تواجه "الأنا"، و المختلفة عنها دينياً و حضارياً و لغوياً، مما يعرضهما لعلاقة ثنائيّة ضدّية قد تكون تارة إيجابية، و قد تكون تارةً أخرى سلبيّة." [1]

و منه فكل ما يختلف عن "الأنا" يعبّر به عن الآخر، و هذا الآخر الذي تتم بفضله معرفة "الأنا"، وكذلك هو تأكيد لهذه "الأنا"، وهذا الإختلاف الذي يكون مع "الأنا" يبرز طبيعة العلاقة بين "الأنا" و "الآخر".

"و الآخر هو مرآة الذّات التي تعكس صوّرها المتلاحقة، بل إنّ الصّورة المثلى التي ترسمها للآخر هي نفسها الصّورة التي تحاول رسمها و هي تعيد كتابة تاريخها و تاريخ الآخر بوصفه علامة على الحضور."[2]

الآخر هو الصّورة الفعلية للذات، فكما تكون المرآة عاكسة للشّيء الذي يقابلها فإنّ الآخر هو كذلك بالنسبة للأنا.

---

1. تمثيلات الآخر في الرّواية العربية، أبحاث ملتقى الباحة الأدبي الرابع، الإنتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص: 209.
2. د. عبد القادر الغزالي: الصورة الشعرية و أسئلة الذات قراءة في شعر حسين نجمي، دار الثقافة، ط1، 2004، ص: 159.

"الآخر (the other) : الآخر في أبسط صورة هو مثيل أو نقيض "الذّات" أو "الأنا"" [1]

و معنى هذا أنّ "الآخر" هو كل ما يعاكس الذّات.

"إنّ الآخر هو المختلف في الجنس، أو الإنتماء الدّيني أو الفكري أو العرقي" [2] فالبشر بطبيعتهم يختلفون في الجنس، فتعدّد الأجناس و تنوع الثّقافات و المعتقدات و الأفكار هي التي تصنع "الآخر"

وفي مفهوم آخر فإنّ "الآخر يرد بوصفه بنية لغوية رمزية و لا شعورية تساعد الذاّت على تحقيق وجودها ضمن علاقة جدلية بين الذّات و مقابل لها هو ما يطلق عليه الآخر" [3]

هذا بالإضافة إلى أنّ المصطلح يمكن أن يحضر في تحليلات تخرج عن إطار العلاقات الثّقافيّة على مستوى الشّعوب إلى العلاقات مابين الجنسين، فيتعدد الأخر على المستوى الجنوسي(الجندر gender) ليصير الذّكر "آخر" الأنثى و العكس." [4]

و بالتالي فإنّ مصطلح الآخر تعدّدت صفاته، فهو يدخل أيضا في إطار العلاقات القائمة بين الذّكر و الأنثى، فكل واحد منهما يمثل آخر بالنسبة للثاني.

---

[1] د. ميجان الرويلي: د، سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا و مصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002، ص: 21.

[2] ـ م.م، د، حسين جمعة: تح: مالك صقور، الموقف الأدبي، مجلة أدبية شهرية يصدرها إتحاد الكتاب العرب في سوريا، العدد 492 نيسان 2012، السنة الحادية و الأربعون، ص: 17.

[3] سعد البازعي: الإختلاف الثقافي و ثقافة الإختلاف، دار البيضاء، المغرب، ط1، 2008، ص: 34 ـ 36.

[4] ـ المرجع نفسه، ص: 36.

الأنا و الأخر في القران الكريم:

إنّ القرآن الكريم هو مصدر العلوم وأساس الوجود، إذ يعدّ المنطلق الأوّل لكل الدّراسات العلميّة والإجتماعيّة و السّياسيّة و الإقتصاديّة و الدّينيّة و غيرها من العلوم الأخرى، فهو يعالج قضايا مختلفة ومتنوعة و قد استعمل القران الكريم ثنائيّة (الأنا و الآخر)، حيث نجد هذه الثّنائيّة تختلف من حين لآخر، و الأنا قد تكون تعبّر عن الذّات الإلهيّة و قد تكون تحتوي الأمّة المسلمة أو الإنسان المسلم والآخر قد يكون الإنسان المسلم أو الكافر بصفة المخاطب أو الملائكة أو الشياطين أو الرّسل أو الأمّة جمعاء.

"و قد ورد في القرآن الكريم مفهوم "الأنا" بصيغة المفرد (أنا، انّي، انني) و بصيغة الجمع أنا، أنّا، نحن، وجاء مفهوم "الآخر" بصيغ المفرد و المثنى و الجمع بكثافة بالغة." [1]

و عليه فانّ المتأمّل لآيات الله تعالى في كتابه الكريم قد يجد صعوبة أو بالأحرى تكراراً للفظ (أنا)، فهي جاءت متعدّدة و بصفة متقاربة نوعًا ما إلاّ أنّ هذا لا يمنع من وضوح العلاقة بين الله تعالى و الموجودات.

"كما يمكن رصد أنماط "الأنا" في القرآن الكريم على النحو الآتي:

[1] ـ السيد عمر: الأنا و الآخر من منظور قرآني، تحرير: منى أبو الفضل و نادية محمود مصطفى، دار الفكر، دمشق، 2008، ص: 31.

1ـ "الأنا" المطلق: ورد لفظ (أنا) دالاً على ذات الله تعالى في مواضع قرآنية عديدة يمكن من خلالها تحديد الخطوط العريضة لطبيعة العلاقة بينه (سبحانه تعالى) و بين الكون بكلّ ما فيه، بما فيه البشر جميعًا" [1]

و من هنا يتّضح لنا أن ضمائر الأنا سواءًا أكانت مفردة أم جمعية أغلبها جاءت للدلالة على الذّات الإلهيّة أي خطاب الله تعالى لمخلوقاته.

2 ـ "ورد لفظ (انني) بالقران الكريم سبع مرات من بينهما خمس مرات تتعلّق بالذّات الإلهيّة، يقرّر في إثنين منها وحدانيّته في خطابه لموسى و هارون، و يحدّد في الثّلاث الأخرى علاقته مع الرّسل و بقيّة البشر، أما المرّة السّادسة فيحدّد فيها الله تعالى صفات من هو أحسن البشر قولاً بأنّه من ﴿ **وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنْ الْمُسْلِمِينَ** ﴾[2] " [3]

ـ هنا يصف الله تعالى عباده المخلصين في عبادته و الدّاعين إليه بالصّفات الحسنة بأنّهم أحسن البشر بل و هم العلماء المتّقين الله.

[1] السيد عمر: الأنا و الأخر من منظور قرآني، المصدر السابق، ص: 13

[2] سورة فصلت: الأية: 33.

[3] السيد عمر: الأنا و الأخر من منظور قرآني، المصدر السابق، ص: 138.

3 ـ "ورد لفظ (نحن) دالاً على الذّات الإلهيّة مبينًا محاور العلاقة بينه (تعالى) و بين البشر على النحو التالي:

ـ "الله هو الوارث للوجود كلّه، وسع علمه كل شيء، و أبلغ عباده أنّ المقصّرين منهم في حقّه تعالى سيشهدون بحياتهم الدّنيوية و يعتبرونها بمثابة اليّوم الواحد حين يعلمون اليقين حيث يقول تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ** ﴾ [1] " [2]

4 ـ "ورد لفظ (إنّا) دالاً علي الذّات الإلهيّة خمسًا و سبعين مرّةً مبينًا العلاقة بين (الله تعالى) و الوجود بكل مفرداته في محاور أهمها:

ـ خلق كلّ شيءٍ بقدر (القمر: 49)، و خلق البشر من ذكرٍ و أنثى و جعلهم شعوبًا و قبائل ليتعارفوا، و ربط كرامتهم عنده بدرجة التّقوى [الحجرات: 13، المزمل: 15] و ابتلاء الإنسان بالطّاعة عن إختيار و منحه أسباب معرفة الهدى و الضّلال مع منحه حرّية الإيمان أو الكفر و إبلاغه بعاقبة إختياره (الإنسان،23،4،3،2).....[3]"

[1] ـ سورة مريم: الآية: 40

[2] ـ السيد عمر: الأنا و الآخر من منظور قرآني، المصدر السابق، ص: 139.

[3] ـ المصدر نفسه، ص: 140.

بعد طرحنا لمجموعة الضّمائر(أنا، إنّني، إنّي، إنّا، نحن) وجدنا بأنّ أغلبها تدلّ على الذّات الإلهيّة في بيان قدرته و قوّته المطلقة سبحانه و تعالى بما يقدّمه من أجر و مغفرة و وعيد في مواضع مختلفة من كتاب الله تعالى فهو كلامه سبحانه عزّ و جلّ و إعجازه الذي لا يستطيع أن يأتي بمثله أحدٌ من مخلوقاته.

ـ أمّا فيما يخصّ الآخر في القرآن الكريم فإنّه "لم يرد بالقران الكريم لفظ (الآخر) بفتح الخاء إلاّ دالاً على مخلوقٍ أو على إلاهٍ زائف، و من ثمّ فإنّ هذا المفهوم خاص بما هو نسبي فقط"[1] هذا يعني أنّ "الآخر" في القرآن الكريم يمثّل مخلوقات الله تعالى على وجه الأرض و غيرها من الآلهة المزيّفة التي اتّخذها بعض الجاهليّون أرباباً من دون الله مثل الأصنام و الأوثان، فقد ذكرها الله تعالى في كتابه المقدّس باعتبارها أطراف محايدة و معارضة لقوانين الله تعالى، مع أنّه لم يكن "الآخر" في القران الكريم دالاً دائمًا على الطّرف المحايد فأحيانًا يكون طرفاً مؤيدًا خاضعاً لأوامر الله تعالى و منه فإنّنا نجد "لفظة "الآخر" بعدّة صيغ مختلفة في القران الكريم منها:

1 ـ في صيغة المفرد المذكّر (آخر) وردت في 15 موضعًا، منها قوله تعالى: ﴿**إِذْ قَرَّبَا قربَانًا فَتُقبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا و لم يُتَقَبَل مِنَ الآخَر**﴾[2] .

2 ـ في صيغة المفرد المؤنث (أخرى) وردت في 23 موضعًا، منها قوله تعالى:

[1] ـ السيد عمر: الأنا و الأخر من منظور قرآني، المصدر السابق، ص: 151.

[2] ـ سورة المائدة: الآية: 27.

﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾ [1] .

3 ـ في صيغة المثنى (آخران) وردت في 23 موضعًا، منها قوله تعالى: ﴿إِثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَو ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾[2] .

4 ـ في صيغة الجمع (آخر) وردت في خمسة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَ أُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [3]

"يتّضح من خلال ما سبق أنّ لفظة "الآخر" جاءت بصيغها كلّها في القرآن الكريم عدا جمع المؤنّث السّالم (أخريات)، وقد أوحت تلك الصّيغ على أنّ "الآخر" هو الشّيء أو الشّخص المغاير بالجنس أو النّوع أو الصّفة" [4]

و عليه فإنّ لفظ "الآخر" في القرآن الكريم قد تكرر كثيرًا و قد جاء هذا اللّفظ ليمثّل الطّرف المقابل للطّرف الذي قبله و الذي يكون دائمًا من جنسه و هذا لبيان العلاقة بين الطّرفين، إذ أنّ اللّجوء إلى "الآخر" في بعض المسائل القرآنية قد يحيلنا إلى المساواة بين شيئين مختلفين أو متلازمين و أحيانًا

[1] ـ سورة البقرة: الآية: 282.

[2] ـ سورة المائدة: الآية: 106.

[3] ـ سورة ال عمران: الآية: 07.

[4] ـ حسين عبيد الشمري: صورة الآخر في الخطاب القرآني، دراسة نقدية جمالية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص: 15.

يقودنا إلى الوصول إلى حقيقة شيءٍ ما، كما أنّه في بعض المواقف نجده يوضّح الصّراع القائم بين طرفين إمّا متضادّين أو متماثلين، وكذلك وجود الإختلاف أمر ضروري لتحقيق التعارف و هذه طبعا مشيئة الله عز وجل في خلقه، كما نجدها موضحةً في

الآية الكريمة في قوله تعالى:﴿**وَلَو شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ لاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِيْنَ**﴾ [1] "في هذه الآية يخبر الله تعالى أنّه قادرٌ على جعل النّاس كلّهم أمّةً واحدةً من إيمانٍ أو كفرٍ." [2]

"إنّ التّعايش مع الآخر و ذلك بقبول اقتسام الفضاء العام معه، و قبول التّصالح الدّنيوي، و الوجود و الجوار في الاتفاق على جملةٍ من الأخلاق الإنسانيّة التي تتيح الفرصة لتبادل الحوار و الإقناع، أو من أجل تحقيق التّعاون و التّعارف في المشترك الحضاري و الإنساني، و تبادل الخبرات التي تعين الإنسان على عمارة الأرض، و نشر قيّم الخير التي يتّفق النّاس على الاعتراف بها."[3]

[1] سورة هود: الأية: 118.

[2] ـ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير: مختصر تفسير ابن الكثير، تح: محمد علي الصّابوني، قصر الكتاب، البليدة، الجزائر، ج2، مج2، 1410هـ، 1990م، ص: 237.

[3]. محمد إكيج: الإعتراف بالآخر الديني و مستلزماته الأخلاقية و الحوارية، شبكة ضياء للمؤتمرات و الدراسات، ص: 14.

ذلك لأنّ الإسلام هو منهج الحياة التي يسير عليها الإنسان و هو الدّين الكامل و المتكامل جاء ليحثّ البشريّة على التّعاون و التّعارف لإنتاج حضارة مثاليّة قائمة على الأخلاق و العدالة الاجتماعيّة و المثل العليا.

الأنا و الأخر في الفلسفة:

لقد تداولت الدّراسات الفلسفيّة ثنائيّة "الأنا" و "الآخر"، نظرًا للعلاقة القائمة بين هذين المفهومين حيث عبّرت عن "الأنا" بمصطلح الذّات، و هذا ما جاء في المفهوم الفلسفي "للأنا"، و كذلك لقي هذين المصطلحين اهتمامًا كبيراً من قبل الفلاسفة.

"إن مصطلح "الأنا" يدّل على ذات الأفعال المعتمدة أي الأفعال التي تأخذها الشّخصيّة بالحسبان و تتحمل مسؤوليّتها" [1]، هذا يشير إلى أنّ "الأنا" عبارة عن سلوكات ناتجة عن الذّات تدركها وتتحمل عواقبها. و هذا ما تطرق إليه " ديكارت" في مقولته الشهيرة "أنا أفكر إذن أنا موجود." [2] " التي جعلت الأنا المفكر أو الذّات هي المبدأ الأوّل و الأساس الوحيد للمعرفة، ولقد عبّر عن هذا (الكوجيتو) أولاّ عن الفصل الكلّي بين الفكر أو الوعي من جهة، و الوجود أو العالم من جهة أخرى فنظر إلي العالم علي أنّه من صنع الأنا." [3]

[1] . د. مصطفي حسيبة: المعجم الفلسفي، دار أسامة، الأردن، عمان، د.ط، 2012، ص: 103.

[2] . ديف روبنسون: كريس جارات: أقدّم لك ديكارت، تر: إمام عبد الفتاح إمام، المشروع القومي للترجمة، د.ط، 2001، ص: 59.

[3] . محمد بن سباع: الفلسفة الفينومينولوجية الوجودية عند موريس ميرلوبونتي، من أولوية الوعي الى مساءلة الوجود، دار الروافد الثقافية الحمراء، بيروت، لبنان، ط1، 2014، ص: 27.

"تتمثّل نظرة ديكارت للأنا عن غيره من الفلاسفة في تمجيده لهذه "الأنا"، حيث أنّه جعل منها المنطلق الرئيسي لكلّ علمٍ و معرفةٍ. يبدو أنّ الذّات، هي فكرة الشّيء التي يحملها الإنسان حيث الشّيء يستمد ضرورة وجوده من وجود الإنسان أي وجود الأنا أفكّر." [1]

ومنه فإنّ وجود الأشياء موصول بفكر الإنسان فبمجرد تفكيره في هذا الشّيء فإنّه يؤسّس لوجودها فضرورة وجود الإنسان مرتبطة بحتميّة وجود الأشياء، " فإذا كان ديكارت يؤكّد على أولوية "الأنا" المفكّر الذي يؤسّس بذاته معرفة بالأشياء، فإنّ "ميرلوبونتي" يحاول إعادة التّوازن إلى العلاقة القائمة بين الفكر و الوجود أو الذّات و الموضوع من خلال ربط "الأنا" المفكّر بالوجود الفعلي هو وجود مع الذّوات و الأشياء و العالم." [2]

إن "ميرلوبونتي" في هذه الحالة يسعى إلى ربط الأشياء بالواقع، أي أنّها تكون مجسدة على أرض الواقع، و لا تكون مجرد أفكار فقط. "بحيث أنّ "ميرلوبونتي" يحمّل مسؤوليّة الفصل الكلّي بين الوعي و العالم، و هو الفصل الذي لم تستطيع الفلسفات المعاصرة تجاوزه، فيقول: بَعْدَ ديكارت (لم يعد الحديث قائماً إلاّ عن الوجود كوعي متميّز كليّةً عن الوجود كشيء)، و هو يشير هنا إلى فلسفات الوعي و

[1]. إسماعيل مهنانة: الوجود و الحداثة، هيدغر في مناظرة العقل الحديث، دار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص: 83.

[2]. محمد بن سباع: الفلسفة الفيتومينولوجية الوجود عند موريس ميرلوبونس، المرجع نفسه، ص: 27.

الأفكار التي تقول بها خصوصا عند هوسرل edmund hussere و الوجود في حدّ ذاته عند سارتر." [1]

كما سبق و ذكرنا أنّ "ميرلوبونتي" حاول جاهدا أن يربط العالم الحقيقي بالعالم الوهمي أي الفكر بالوجود، و هذا ما جعله ينتقد ديكارت على فصله بين الوعي و العالم أي ما يفكر به الإنسان داخل ذهنه و ما هو موجود في الواقع، كما يظهر "هوسرل" في هذا الموضوع و هو يحاول أن يجد العلاقة التي تصل الوعي بالشّيء.

" لم يقف الفلاسفة بعد على مفهوم واحد يبلور فهماً نهائيًا "للأنا"، فقد رفض هيوم أن يكون "الأنا" مادة، و عدّها (حزمة من الإدراكات الحسّية). و توصّل "كانط" إلى مصطلح (الأنا الخالص) على الرغم من أنّه لم يحدّد طبيعة نشاطه و رأى البعض أنّه كاد يوقع في أذهاننا أنّ نشاط الأنا نشاط مفتّت و جعل كانط الأنا الخالصة مقابل الأنا التجريبيّة الفرديّة و في مواجهة المفهوم الديكارتي للأنا، رأى كانط الأنا افتراضي سابق لكل عمليّات التمثّل عندنا." [2]

هذه الإختلافات و المفارقات بين الفلاسفة لم تحدّد مفهوماً دقيقا "للأنا"، بحيث أن هيوم يرى بأن "الأنا" ما هي الاّ مجموعة ادراكات حسيّة و يذهب كانط أنّ "الأنا" متواجدة قبل أن يوجد الفكر.

[1] ـ محمد بن سباع: الفلسفة الفيتومينولوجية الوجود عند موريس ميرلوبونس، المرجع نفسه، ص: 27.

[2] ـ أحمد ياسين السليماني: التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، دار الزمان، دمشق، سوريا، ط1، 2009م، ص: 91 ـ 92.

" و فشته الذي بدأ تكوين نظريّته في فكرة "الأنا" بكونها مبدأ أقصى و نظرا إليه على أنّه الشّعور الفردي، فقد كان يقصد ربط "الأنا" بالوجود، لأنّ "الأنا" موجود في كلّ إثبات وجود، لأنّه لم يكن يسعى للدّلالة على "الأنا الفردي"، بقدر ما كان يطمح إلى الإشارة إلى الذآت الخالصة، أو الأنا المطلق، بكونها ماهية الوجود الفردي." [1]

و منه فإنّ "فشته" قد ربط "الأنا" بالشّعور النآتج عن الفرد أي شعور الفرد بنفسه هو الذي يحدّد مفهوم "الأنا" في رأيه.

"و كذلك ذهب "هيدغر" إلى ربط الذآت بالوجود، حيث يتصّور أن الذّاتية ليست إلاّ نتيجةً لانكسارٍ حدث في زمن التاريخ، فحيث لا يوجد إلا الموجود فإنّ (من) يشير إلى وجود هذا الموجود لن يكون إلاّ نتيجة انكسار حدث في قلب الموجود، بحيث يتزامن من و نحو الوجود في الوقت عينه " فقولنا أنّ الموجوديّة هي الذآتية، و قولنا أنّ الموجوديّة هي الموضوعيّة هو قول واحد." [2]

هذا يعني أن الوجوديّة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالذّاتيّة، فالذّاتيّة تعني الوجوديّة و العكس صحيح في نظر "هيدغر" و من خلال هذا كله يتضح لنا أنّ "الأنا "كانت محلّ اهتمام الفلاسفة و بالأخص الوجوديون منهم.

[1] ـ المرجع نفسه، ص: 92

[2]. إسماعيل مهنانة: الوجود و الحداثة، هيدغر في مناظرة العقل الحديث، المرجع السابق، ص: 82.

كما قدّمت الفلسفة دراسات عن "الأنا" فهي لم تقف عن تعريفها للأنا دون أن تغفل على أن توجّه دراساتها "للآخر"، فقد سعت جاهدةً لفهم هذا الآخر و معرفة هوّيّته و مدى إتّصاله بالأنا و ما يمثّله بالنسبة لهذه الأخيرة لذا " نجد "هيدغر" يطرح موضوع "الآخر" بكونه موضوعًا

معرفيًا بالنسبة للذّات، فالإنسان الذي أصبح ذاتًا، عليه أن يختار في أن يكون (أنا) مجّاني لا يخضع لأيّ ضرورة، أو (نحن) ينتمي إلى المجتمع و ما إذا كان يريد و يجب أن يكون شخصاً داخل معسكر، أو مجرد عضو ينتمي إلى مجموعة في إطار جسم اجتماعي" [1]

" هذا الطرح الذي قدّمه هيدغر يوحي إلى التّعقيدات الواقعة بين الأنا و الآخر و إذا كان بإمكان هذه الأنا أن تعيش بمعزل عن الآخر إنّ الإنتقال من الفرديّة إلى الجماعة عند هيدغر لابد أن يمر عبر الإغراق في الفرديّة أولاً، حينئذٍ تكون مقاومة الفرديّة، دفاعاً عن الجماعة، فحينما يكوّن الإنسان ما هيّته ذاتاً، حينئذٍ نطرح إمكانيّة الإغراء في النّزعة الذّاتية الفردانية، ولكن إلى جانب هذا لا يكون النّضال ضدّ الفردانيّة دفاعاً عن الجماعة كمجال و غاية لكلّ مجهود، من معنى، إلاّ حيث يظل الإنسان ذاتا." [2]

يجب على الإنسان أن يعيش فرديّته و يتعوّد عليها قبل أن ينغمس في دوّامة الجماعة و بذلك يتسنّى له أن يتأقلم فيما بعد مع هذه الجماعة و يتفاعل معها.

[1] أحمد ياسين السليماني: التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، المرجع السابق، ص: 94.

[2] ـ المرجع نفسه، ص: 94،95.

"إنّ علاقة "الآخر" هي علاقة متلازمة لا تنفك بين تأكيد الشّخص لنفسه و بين إعتقاده لوجود الغير، فالوجود: هو علاقة أو حضور خلاّق بين "الأنا" و الأنت، و من خلال هذه العلاقة تستوعب الذّات "الآخر" كوجهٍ ثانٍ لها فيصبح ذلك "الآخر" أنت نفسك" [1]

إنّ الإحتكاك ب"الآخر" و التّواصل معه يساهم في تنمية العلاقة بين الطّرفين ،فعلى كل واحدٍ منهما أن يرى في الطّرف المقابل شيئاً يقدّم له منفعة حتّى تتحقّق هذه العمليّة التّواصليّة.

"مهّدت الثّورة الكوبرنيكية *، التي قرّرت وضع الإنسان باعتباره ذاتاً مشروعة ، للكانطيّة بتأسيس أخلاق غيريّة، تقوم على الإعتراف بوجود الغير باعتباره كياناً إنسانياً مستقلاً، بمعنى أنّ الفلسفة العمليّة تطرح وجود "الآخر" بوصفه غاية موضوعيّة، بل هو غاية في ذاته جديرة بقيمة لا مشروطة." [2]

الإعتراف "بالآخر" من حيث هو غاية و عامل أساسي لوعي الذّات بنفسها فالغير مقترن بالذّات و لا ينفصل عنها.

[1]- حسين عبيد الشمري: صورة الآخر في الخطاب القرآني دراسة نقدية جمالية، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص:27.

* – الكوبرنيكية:هي ثورة علمية حدثت عام1540 م، وهي منسوبة للعالم البولندي نيكولاس كوبرنيكوس، الذي أثبت أن الأرض تدور حول نفسها، وأن القمر يدور حول الأرض وأن الأرض والكواكب الأخرى تدور كلها حول الشمس.

[2]- عبد العزيز بوسهولي: مبادئ فلسفة التعايش، دار إفريقيا الشرق، المغرب، الدار البيضاء، د.ط، 2013، ص: 19.

"يطرح كانط مسألة الآخر مقترنة بمفهوم الإحترام، و التّأكيد على "الآخر"، و هو يوجد كغاية في ذاته يحيل إلى إعطاء قيمة مطلقة للشّخص الذي لا يمكن أن تعوّض كرامته باعتبار أنّ قيمة تلك الكرامة لا تتحدّد بأي ثمن كان." [1]

الإقرار بوجود "الآخر" هو إقرار بوجود الإحترام الذي يحقّق التّعايش و التّجاوب بين النّاس.

"لا يبتعد "هيدغر" عن "هيغل" الذي آمن بأنّ و عينا الذّاتي موجود لوجوده عند الأخرين، و أنّنا يجب أن نعيش للأخرين لكي نعيش لأنفسنا، و ربما كان "سارتر" يقتبس عن "هيجل" عندما ذهب إلى أنّ الطّريق يمر من خلال الآخر و يبلور "سارتر" هذه العلاقة بين الأنا و الآخر حينما يضرب مثلاً في ذلك بتجربة الخجل، فهو يعدّها عمليّة تبرهن لنا عن وجود الأخرين." [2]

يتّفق "هيجل" مع "هيدغر" بأنّ الإدراك الذاّتي مرهون بوجود "الآخر"، و نجد أنّ "سارتر" لا يختلف عن "هيجل" في جعل العلاقة بين "الأنا" و "الآخر" علاقة تلازميّة.

"ويتوسّع سارتر في شرح هذه العلاقة، حينما يؤكّد وجوده بكونه موضوعاً لشخص آخر، و يرى أنّه محتاج من الشّخص الآخر اعترافا بوجودي إنّه الوسيط بينهم و بين نفسي، و ليس في كل الأحوال أن

[1]. المرجع نفسه، ص: 22.

[2]. أحمد ياسين السليماني: التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، المرجع السابق، ص: 95 .

يبقى "الأنا"، "أنا"، فهو "آخر" بالنسبة "للآخر" على ما يذهب إليه سارتر، إذا كنت أوجد بالنسبة لشخص آخر أكون أنا بدوري الآخر." [1]

ـ و هنا يؤكد "سارتر" على الإلتحام و التّرابط بين "الأنا "و "الآخر"، فالأنا وُجدت من أجل الآخر و العكس صحيح.

[1]ـ أحمد ياسين السليماني: التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، المرجع السابق، ص: 95.

الأنا و الآخر في علم النفس:

يرتكز علم النّفس على مبدأ تحليل الشّخصيّة، أي المعالجة الطّبيّة للأشخاص حيث تبدأ المعالجة إنطلاقا من الذّات التي تعدّ المركز الأساسي في الدّراسة التي يختص بها هذا العلم.

"فالأنا من مكوّنات الشّخصيّة يتكوّن تدريجيًا من إثر اتّصال الطّفل بالعالم الخارجي و التّفاعل معه بشكل تراعي فيه مصلحته الشّخصيّة و مالها من حاجات، ومحاولة التّوفيق بين الدّوافع الغريزية و القيود الإجتماعية و المادّية، و يعد "الأنا" تبعا لنظرية فرويد (freud.s) بأنّه ذلك الجزء من الشّخصيّة المنوط به حل المشكلات و هو يعمل وفقًا لمبدأ الواقع." [1]

و منه فإنّ الطّفل يكوّن ذاته من خلال تعامله مع العالم الخارجي، فتكون الأنا بذلك جزء من شخصيّة هذا الطّفل.

"و مصطلح الأنا استخدمه "فرويد" للدّلالة على تجربة الفرد لنفسه، أو تصوّره الكلّي لذاته، أو هي الوحدة الدّينامية التي تؤلف الفرد، وقد استخدم علماء التحليل النفسي هذا المصطلح بمعنى موضوعي و أشدّ حصرًا للدّلالة على ذلك الجزء من الشّخص الذي يكون على اتصال مباشر بالواقع الخارجي و الذي يتّصف بالوعي، و الذي يتضمن بالتالي تمثيل الواقع حسبما تنقله الحواس و كما يوجد هذا

[1]- مدحت عبد الرزاق الحجازي: معجم مصطلحات علم النفس، عربي ـ إنجليزي ـ فرنسي، مع مسرد إنجليزي ـ فرنسي ـ عربي و مسرد فرنسي ـ إنجليزي ـ عربي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1971، ص: 55.

الواقع في (ما قبل الشّعور) شاكلة ذكريات، بالإضافة إلى تلك الدّوافع المنتقاة و التّأثيرات من الدّاخل التي جرى قبولها منه و الخاضعة للسّيطرة و الضّبط." [1]

من خلال ما سبق ذكره يتبيّن لنا أنّ "فرويد" يعبّر عن "الأنا" بأنّها تلك الذّات المدركة و المرتبطة بالشّعور، فالذّات هي التي تشعر بنفسها و بوجودها.

"فالأنا" مركز الشّعور و الإدراك الحسّي الخارجي، و الإدراك الحسّي الدّاخلي و العمليّات العقليّة والمشرف على الجهاز الحركي الإرادي و مهمته الدّفاع عن الشّخصيّة، و العمل على توافقها مع البيئة وحل الصّراع بين الهو و "الأنا" الأعلى، فهو مطل على الدّوافع الفطرية في الهو، و على العالم الخارجي عن طريق الحواس و حسب "فرويد" منفذ للشّخصيّة، وهو واقعي، يحقّق قيمة الذّات و التوافق الإجتماعي و ينمو بالخبرات التّربوية." [2]

إذن "الأنا" هي ذلك الجهاز المسؤول عن جميع الإدركات الحسّيّة الدّاخليّة و الخارجيّة التي تحقّق وجود الشّخصيّة البشريّة.

[1] ـ محمد عواد: معجم الطب النفسي و العقلي، أوّل معجم شامل بكل مصطلحات الطب النفسي و العقلي المتداولة في العالم و تعريفاتها، دار أسامة، عمان، الأردن، 2011، ص: 178.

[2] ـ صلاح الدين شروخ: علم الإجتماع التربوي، دار العلوم، عنابة، الجزائر، د.ط، 2004، ص: 118.

"و نجد فرويد يذهب في كتابه إلى الإشارة إلى وجود ثلاثة أقسام أو أجزاء للجهاز النفسي هي: الشّعور و ما قبل الشّعور، و اللاشّعور، و كان "فرويد" يعني بالشّعور ما كان يعنيه سائر علماء النّفس و عامة النّاس من هذه الكلمة .

فهو ذلك القسم من العمليّات النّفسيّة التي نشعر بها و ندركها و من المشاهد أن العمليات النّفسيّة الشّعورية لا تكون سلسلة متّصلة، بل يوجد فيها دائما كثير من الثّغرات و الفجوات. وقد رأى "فرويد" أنّه من الممكن تفسير هذه الثّغرات في سلسلة العمليّات النّفسيّة الشّعورية إلى العمليّات النّفسيّة التي تجري في القسمين الآخرين من العقل و هما:"ماقبل (الشّعور) (و اللاّشعور)."[1]

فالشّعور هو عندما نحسّ بشيءٍ ما و ندركه بحواسنا و اللاّشعور هو فعل يقوم به الفرد و تصدر عنه لا إراديًا.

ـ إذا كانت "الأنا" تتألف من الشّعور و اللاّشعور فإنّ الآخر هو أيضًا يحمل صفة الشّعورية، ولإخراج هذه الإحساسات من داخل النّفس إلى عالم الواقع فإنّ هذه النّفس تحتاج دائماً إلى من تعبّر له عن هذه الخوالج التي تنتابها أي هي بحاجة إلى "الآخر" .

[1]ـ سيجموند فرويد: الأنا و الهو، تر: محمد عثمان نجاتي، مكتبة التحليل النفسي و العلاج النفسي، دار الشروق، بيروت، لبنان،ط4، 1982، ص: 14.

"وكما تشير الدّراسات في علم النّفس أنّ النّفس السّوية و المتوازنة تعتمد على وجود الآخر فالكائن البشري يجب أن يكون وسط جماعة أو أكثر من نوع الجماعة السيكولوجية التي تعطيه مع مرور الوقت شعورًا بالطمأنينة و الإنتماء و المكانة التي تشكل حاجات نفسيّة أساسيّة في تكوين الشّخصيّة ." [1]

ـ لقد ركّز علم النّفس في الدّراسة على الشّخصيّة الإنسانيّة و وجد بأنّ لهذه النّفس البشريّة تحوي أحلاماً و طموحات و دوافع تجعلها تحتاج إلى وجود من يحاورها و يخرجها من عالم الفردانيّة إلى عالم التّفاعل و التّأقلم مع الجماعة.

"إنّ الفرد يتخطى المجتمع إلاّ أنّه يتحتّم عليه أن يعرف ذاته و يحقّقها في المجتمع فالوجود البشري هو في الحقيقة وجود في العالم أو أنّ الوجود البشري هو (وجود ـ مع ـ آخرين) فالوجود البشري هو أساسًا وجود جماعي في طابعة، فبدون الآخرين لا أستطيع أن أوجد " [2]

ـ مهما حاول الفرد أن ينسلخ من مجتمعه إلاّ أنّه لا يستطيع إثبات كينونته، إلاّ من خلال الجماعة التي تحيط به، و بما أنّ الإنسان إجتماعي بطبعه فإنّه لا يستطيع أن يعيش خارج نطاق الجماعة.

[1] ـ خير الله عصّار: مقدمة لعلم النفس الأدبي، مؤسسة بونة للبحوث و الدراسات (وادي القبة) عنابة، الجزائر، ط1، 1429هـ ـ 2008م، ص: 148.

[2] د. فيصل عباس: الإنسان المعاصر في تحليل النفسي الفرويدي، دار المنهل اللبناني، بيروت، ط1، 2004م ـ 1424هـ ص: 532.

الأنا و الآخر في علم الإجتماع:

لقد أثارت قضية "الأنا" و"الآخر" إهتمام العديد من علماء الإجتماع ، حيث يُدرس "الأنا" من خلال علاقاته بمحيطه، لأنّ "الأنا" لا وجود له إلاّ داخل البيئة الإجتماعية التي يعيش فيها.

و عليه يقول يوسف الحداد "في علم الإجتماع يرتبط مفهوم "الأنا" بالهوية الفردية أو تصور الشّخص لذاته و خصائصها المعرفية و مكوناتها الفكرية و الإجتماعية من قيم و تقاليد موروثة أو مكتسبة كتعبير موسّع للأنا عن الهوية الجمعية" [1]

"يتبين لنا من خلال هذا القول أنّ "الأنا" في الدّرس الإجتماعي أخذ طريقًا مغايرا عن تعريفها في الدّرس الفلسفي أو عند علماء النّفس فارتبط مفهومها عند علماء الإجتماع بالهوّية الفرديّة للشّخص و تصوّر هذا الأخير للذّات التي تسكنها و ما تملك من خصائص معرفيّة، دون نسيان مكوناتها الفكريّة والإجتماعيّة و ذلك من خلال التقاليد و القيّم الموروثة و المكتسبة من طرف هذه الذّات" [2]

ـ يذهب علم الإجتماع إلى ربط مفهوم "الأنا" بالهويّة الفرديّة التي تختص بها هذه الذّات فهي تحمل ثقافة المجتمع الذي تقطن فيه، مهما كانت صفات هذا المجتمع.

---

[1] ـ حاتم زيدان، العيد جلولي: جمالية المراوغة و التوظيف الضمائري للأنا و الآخر عبر اللغة الشعرية، دراسة في قصائد مختارة من ديوان مسقط قلبي لسمية محنش، مجلة الأثر العدد29 جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر،2017، ص: 198.

[2] ـ المرجع السابق، ص: 198.

"ولقد أشار "تشارلز كولي" إلى مفهوم الذّات على أنها مركز شخصيّتنا و إنها لا تنمو و لا تفصح عن قدراتها إلاّ من خلال البيئة الإجتماعيّة و إنّ الشّعور لا يبرز دون أن يكون مصحوباً بذوات الآخرين، وتطرق أيضاً إلى مفهوم "النّحن" (we) أو الذّات الجماعة group self

و علاقتها بانتماء الأنا إليها، و عن مدى تعاون أو إختلاف هذه الجماعات فيما بينها" [1] لا يمكن "للأنا" أنّ تثبت وجودها وتحقّق ذاتها إلاّ من خلال المحيط الإجتماعي الذي تنتمي إليه، فالأنا تؤثّر في "الآخر" و تتأثّر به، فلا يمكنها أن تعيش بمعزل عن الآخرين ، فالارتباط و الانسجام الذي يحدثه "الأنا" و "الآخر" يحقق التكامل الإجتماعي.

"أما فتحي أبو العينين "يرى أنّ الذات عبارة عن نسق تصوّري تطوره الكائنات البشرية إفراداً كانت أم جماعات و تتبناه و تنسبه إلى نفسها و يتكوّن هذا النّسق من مجموعة من الخصائص الفيزيقيّة و النّفسيّة و الإجتماعيّة و من عناصر ثقافيّة كالقيّم و الأهداف و القدرات التي تعتقد الأفراد أو الجماعات أنها تتسم بها." [2]

ـ الذّات في نظر "أبو العينين" عبارة عن تصوّرات ينتجها الفرد و يطوّرها في نفسه.

[1] ـ حسين عبيد الشمري: صورة الآخر في الخطاب القرآني، دراسة نقدية جمالية، المصدر السابق، ص: 23.

[2] ـ المرجع نفسه، ص: 23.

"إنّ الحديث عن الآخر إجتماعيًا يتطلب وصفًا لطبيعة العلاقات الإجتماعيّة بين الجماعات الإنسانيّة، لأنّ الآخر لا يتحقّق وجوده إلاّ بوجود الإختلاف و التمايز بين الجماعات بالأراء و وجهات النّظر، و يتباين حياة كل منهما لاسيما في قضيّة أنّ إنتماء الفرد إلى الجماعة شرط أساسي لوجوده، ويعدّ الإنتماء القومي و الإثني أكثر الانتماءات بديهيّةً لتوجيه العالم في العصر الحديث على أسس قوميّة إثنيّة." [1]

و عليه كلما كان هناك إختلاف في الأراء و الأفكار بين الأفراد داخل المجتمع كلما أثبت الآخر وجوده.

"و قد ذكر ابن خلدون في مقدّمته بأنّ الإنسان مدني بالطّبع أي لابد من الإجتماع لأنّ الله تعالى عندما خلق الإنسان خلقه في صورة لا يمكن أن تعيش بدون الغذاء، فحاجته إلى هذا الغذاء الذي يمدّه بالقوّة و النّمو و الاستمراريّة في الحياة، تستدعي وجود الأخرين معه ليُحصّلو نوع من التّعاون، فمثلاً لو فرضنا منه أقلّ ما يمكن فرضه و هو قوت يوم من الحنطة فلا يحصل إلاّ بعلاج كثير من الطّحن و الطّبخ،

[1]- حسين عبيد الشمري: صورة الآخر في الخطاب القرآني، دراسة نقدية جمالية، المصدر السابق، ص: 21

و كلّ واحد من هذه الأعمال الثّلاثة تحتاج إلى مواعين و آلات لإعداده، و إن أراد هذا الإنسان أن يدخّر حبًّا فهو يحتاج في تحصيله أيضًا إلى أعمال من الزّراعة و الحصاد." [1]

و من هنا فإنّ كل هذه الأعمال تحتاج إلى وجود "الآخر" في حياة الفرد الذي يعينه على البقاء و الإستمراريّة في هذه الحياة، فبدون "الآخر" لا يستطيع الإنسان أن يعيش.

"و الآخر هو بداية المعرفة الوجوديّة، يوم أقرّ الإنسان بوجود مثيل له و لو كان خياليًا أو على مستوى الحواس، فالإنسان البدائي جعل من الطّبيعة و الحيوانات آخر، و أخذ يضفي عليهما صيغ المنافس الوجودي الأقوى، فذهب يتفادى قهر الطّبيعية و بطشها بمزيد من سطوتها، أو لعله أخذ يفترض وجود عوالم أخرى قد تكون أقوى من الطّبيعة تأثيرًا في الإنسان" [2]

وعليه فإنّ "الآخر" هو جلّ الأشياء المحيطة بالذّات و المعاكسة لها سواءًا أكانت في الطّبيعة أو خارجها، فكل ما يراه الإنسان أو هذه الذّات خارج عنها يحقّق معرفة وجود هذه الذّات و ذلك عن طريق التّواصل و التّفاعل القائم بين الطّرفين.

[1] ـ العلامة ولي الدين عبد الرحمان بن محمد، مقدمة إبن خلدون، دار يعرب، دمشق، ج1، ط1، 1425 ـ 2004، ص: 137. *

[2]. صالح إبراهيم نجم: جدلية الأنا و الآخر في الشعر الصوفي، على إمتداد القرنين السادس و السابع الهجريين بحث أعد لنيل شهادة الدكتراه في اللغة العربية و آدابها، 2012 ـ 2013، ص: 25.

من خلال ما سبق لنا ذكره حول "الأنا" و "الآخر" في علم الإجتماع فإنّ "الأنا" تستمدّ روحها و قوّتها بارتباطها مع الأخرين و التّواصل معهم فالآخر هو الرّكيزة و الدّعامة الأساسيّة التي تثبت "الأنا" من خلاله وجودها، فالاتّصال ب"الآخر" ضرورة حتميّة و العلاقة بينهما هي علاقة تداخل فهما مكملان لبعضهما و لا يمكن فصلهما، ف"الأنا" بحاجة إلى "الآخر" و العكس صحيح، و بما أنّ الإنسان إجتماعي بطبعه فهو يؤثّر و يتأثّر بالمحيط الإجتماعي الذي ينتمي إليه، بحيث يشترك مع الجماعة التي يعيش معها في العادات و التّقاليد و المعتقدات و تكون له مفاهيم مشتركة معها، و بهذا التّداخل بين هذين المفهومين يتحقّق الإستقرار الإجتماعي.

العلاقة بين الأنا و الأخر:

إنّ طبيعة العلاقة بين "الأنا" و "الآخر" على أنّها علاقة جدليّة قائمة على الصّراع و التّفاوت، و ذلك في بعض المواقف، مثل علاقة الذّات العربيّة ب"الآخر" الغربي نظرا للتّوترات القائمة بين هذين الطّرفين فهما ضدّان متعاكسان، كلاهما يسعى لإثبات سيطرته و وجوده هذا من ناحية أمّا من الناحية الثّانية فإنّنا نجد أنّ علاقة" الأنا" بالآخر أي علاقة الذّات بغيرها من الذّوات الأخرى هي علاقة قائمة على التّواصل و الحوار و التّفاهم و التّعاون و ذلك لأنّ الطّبيعة الإنسانيّة تفرض وجود "الآخر"، كما نجد أنّ المرأة في حاجة إلى الرّجل، و الصّغير بحاجة إلى الكبير و الضّعيف إلى القويّ.....فكل هذه الروابط تساعد في توثيق العلاقة بين "الأنا" و "الآخر".

"إنّ الآخر لا يمكن أن يكون آخر من دون أن يكون في داخله "أنا" فكل آخر تتداخله أنا" [1]، ومعنى هذا أنّ "الآخر" في ذاته هو أنا، أي يمكن أن يكون "الآخر" أنا و كذلك "الأنا" تحمل صفة "الآخر"، لأنّها تعدّ بالنّسبة للطّرف الثّاني "آخر".

"فالآخر لا يعتدّ بصحبته إلاّ إذا كان قرين الذّات." [1] فهو حارسها الذي يرافقها و يلازمها، فكلّما كان هناك "أنا" يجب أن يكون هناك "آخر" فحقيقة الوجود تقتضي وجودها معاً، فالأنا لا

[1] ـ د. أحمد ياسين السليماني: التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، دار الزمان، دمشق، سوريا، ط1، 2009، ص: 104.

تستطيع أن تعيش إلاّ في علاقتها بالآخر و التّواصل معه، بحيث يرتبط "الآخر" بالأنا إرتباطاً وثيقاً ذلك أنّه لا يمكن النّظر إلى "الآخر" إلاّ بمنظور "الأنا".

"و لا تتجلى الذّات إلاّ بوجود آخر مختلف مغاير" [2]

ـ هذا يعني أنّ تمثّل الذّات لا يكون إلاّ بحضور الغير المختلف عنها.

"و هذا ما نجده لدى الشّاعر الفرنسي "رامبو" في عبارته الشّهيرة، (أنا هو الآخر)، حيث يبدو "الآخر" تلك القوّة المضادّة للذّات و النابعة منها، القوّة التي لا بدّ من التعرف عليها و التّصالح معها أو القبول بها" [3]

تكمن علاقة "الأنا" و "الآخر" حسب ما ذهب إليه "رامبو" في إلتحام هذين المصطلحين، وما يمثله "الآخر" بالنسبة "للأنا" و كيف له أن يتعامل مع هذه "الأنا" و يتواصل معها و يتقبّلها.

ـ و بما أنّ الإنسان إجتماعي بطبعه و لا يمكنه العيش بعيدا عن الأخرين، فإنّ غياب "الآخر" يعني إنعدام التّواصل و التّفاعل في الحياة الإجتماعيّة، فالحياة مثل كفّتي الميزان لا تثبت إلاّ بوجود جانبين

---

[1]ـ عبد القادر الغزالي: الصورة الشعرية و أسئلة الذات، قراءة في شعر حسن نجمي، دار الثقافة للنشر و التوزيع، الدار البيضاء، ط1، 2004، ص: 159.

[2]ـ أ. أحمد بروال و سهام بوزيدي: التعامل مع الآخر في الفكر الإسلامي المعاصر، مجلة البحوث و الدراسات، العدد 13، باتنة، الجزائر، 2012، ص: 240.

[3] ـ سعد البازعي: الإختلاف الثقافي و ثقافة الإختلاف، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2008، ص: 38.

يحقّقان ذلك، و هذان الجانبان هما "الأنا" و "الآخر" فوجود "الأنا" في كفّة و "الآخر" في كفّة يحقق الثبات و الإستقرار في سيرورة الحياة.

" الذآت تدرك نفسها حين تتعامل مع "الآخر"، إذ تتشكل و يعاد تشكيلها في المواجهة مع الآخر، لذلك فإنّ أي تشويه في النّظرة للآخر لابّد أن يعني تشويهًا كامنًا للذّات" [1]

و عليه فإنّ الذّات لا يمكنها أن تثبت حقيقتها إلاّ في تعاملها و إرتباطها مع "الآخر" الذي يحدّد لها كينونتها، فأي تخريب يصيب الأنا إلاّ و يشمل "الآخر" و هذا دليل على تلازمهما و إرتباطهما معا.

"إنّ حياة الإنسان لا تزدهر إلاّ إذا عاش حياة إجتماعيّة منفتحة على الآخر مثلما هي منفتحة على الذّات" [2]

فكلما كان " الأنا" و "الآخر" معا تكون هناك حياة يسودها الإستقرار، فإنّ غياب أي واحد منها يعني إقصاءاً كاملا "للآخر" و تدميرا فعلياً له، فالطّبيعة الإجتماعيّة تقتضي وجود "الأنا" و "الآخر"، فإذا كان هناك إعتراف بالأنا يجب أن يكون كذلك إعتراف ب"الآخر".

" و ما الآخر إلاّ إنعكاس الأنا و صداها، أو شبحها و ظلّها الذي لا يفارقها، إنّ الآخر هو الشبح المرجى، أو المصير المؤجل للهوية." [1]

[1] ـ د. ماجدة حمود: صورة الآخر في التراث العربي، الدار العربية للعلوم الناشرون، بيروت، لبنان، د.ط، ص: 09.

[2] ـ المرجع نفسه، ص: 9 ـ 10.

أي أينما وجدت "الأنا" إلاّ و يكون "الآخر" موجوداً دائما فهما ملازمان لبعضهما و لا يمكن حضور "الأنا" في غياب "الآخر" فإذا غاب "الأنا" يموت "الآخر".

"لا ينفصل "الآخر" عن الذّات بل هو شبهها و شبحها أو مقلوبها أو معكوسها" [2] و منه فإنّ "الآخر" و "الأنا" وجهين لعملة واحدة و هما من الثنائيّات المتّصلة ببعضها و التي لا يمكن الفصل بينهما فالجمع بينها حقيقة لا يمكن تغييرها."إنّ الذات هي بنت العلاقة بالآخر" [3]

و هذا لتداخل المفهومين مع بعضهما، و هذا الإلتحام و التّماسك الذي تبديه "الأنا" "للآخر" هو الذي يجعل العلاقة بينهما علاقة ترابط و إنسجام فكلما كان "الآخر" موجودا كلما كانت "الأنا" ثابتة و مستقرّة، و غير معرضة لأي صعوبات في حياتها "فالآخر" هو بمثابة السّند الذي تحتمي من ورائه "الأنا"، فهو رفيقها الذي لا يفارقها.

"بحيث أنّ الأنا لا تتحقّق كإنسان إلاّ في علاقتها "بالأنت"، إذا العلاقة بين الأنا و الأنت علاقة تبادلية"[4] و عليه فإنّ "الأنا" لا تثبت حقيقة وجودها و هوّيتها إلاّ بتواصلها مع "الآخر"، فالأنا والأنت

[1] ـ جاك دريدا: ما الأن؟ ماذا عن غد؟ الحدث، التفكيك، الخطاب، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص: 150.

[2] ـ ،المرجع نفسه، ص: 152.

[3] ـ المرجع نفسه، ص: 302.

[4] ـ المرجع نفسه، ص: 309.

مرادفان لبعضهما. "فالأنا" يكمّل الأنت و العكس صحيح، فالحياة بطبيعتها قائمة على ثنائيّات مثل الخير و الشّر، النّور و الظّلام، الأعلى و الأسفل.....

و منه فإنّ "الأنا"و "الآخر" ضمن هذه الثنائيّات التي لا يوجد واحد منها بدون الطّرف "الآخر". "إنّ حاجة الإنسان إلى غيره ضرورة ملحّة، فرضتها عليه طبيعته الإنسانية، فالإنسان ضعيف، فقير، محتاج، مهما بلغ من درجات الإيمان، و العلم، و المال و الصّحة." [1]

و عليه فإنّ ضرورة الإنسان إلى غيره ضرورة حتميّة، فكلّما كان "الآخر" موجودا كلّما تحقّقت مطالب كل إنسان.

إنّ هناك علاقة تكامليّة بين الذّات و "الآخر"، "الذّات هي أيضا الآخر، و الآخر هو أيضا ذّات" [2]

و معنى هذا أنّ الذّات و "الآخر" شيء واحد، فهما لا ينفصلان أبدا، فالذّات و "الآخر" يشكّلان جسم واحد و روح واحدة، و لا يستطيعان العيش إلاّ إذا وجدنا معاً.

[1]- ينظر: أ.إباض أبي بكر بهون علي، الحوار و تنمية العلاقات، المدرسة العلمية الجديدة، مكتب الدراسات العلمية، د.ط، ص: 07.

[2]- محمد شوقي الزين، الذات و الآخر، تأملات معاصرة في العقل و السياسة و الواقع، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط1، 1433هـ - 2012م، ص: 9.

"فليس بنفي الآخر تقوم للذّات قائمة، لأنّ وجودنا يحتاج إلى تعريف و تصريف و خصوصيتنا الأصليّة تحتاج إلى تبادل و تواصل و لا يمكن تحقيق هذه المفاعيل التّواصلية و الحواريّة بانعدام الآخر في أشكاله الفكريّة و الثقافيّة و الحضاريّة." [1]

إنّ "الآخر" يحقق للذّات الكثير من الحاجيات، فبوجوده يكون هناك تواصل و تفاعل، و إكتساب الكثير من المعارف و الخبرات، فغياب "الآخر" يقضي على كل هذه الخاصيات.

"الأنا" و "الآخر" ندّان لا ينفصل الواحد منهما عن الآخر في المعيش الفردي أو الجماعي للواقع الإنساني." [2]و وفق ذلك يمكن القول بأنّ "الأنا" و "الآخر" وجهان لعملة واحدة مفروض على بني البشر التّعامل عل أسسها لقضاء مآرب و مقاصد الوجودية" [3] و عليه "فالأنا" و "الآخر" عنصران أساسيان في الوجود، فلا يكون للوجود معنى إلاّ إذا كان هناك تقابل و تلازم بينهما.

[1] ـ محمد شوقي الزين: الذات و الآخر، تأملات معاصرة في العقل و السياسة و الواقع، المرجع السابق، ص: 99.

[2] ـ الذّات و مقوماتها، أنطوان، رومانوس، دراسات عربية، عدد 9، سنة: 19 يناير 1983، ص: 71 نقلا عن، د. بشير بوبجرة محمد، الأنا و الآخر، و رهانات الهوية في المنظومة الأدبية الجزائرية، دار تفليت، د.ط، ص: 12.

[3] ـ المرجع نفسه، ص: 12.

تقول أحلام مستغانمي [لأجمل أن تلتقي ضدك فذلك وحده يجعلك تكتشف نفسك] [1]

و هنا نجد أنّ أحلام مستغانمي، تجعل من "الآخر" عنصرا أساسيًا و مقومًا فعاّلًا في اكتشاف الذّات والتّعرف عليها، "فالآخر" يلعب دورا كبيرا في بناء الذّات، و بالتالي فهو الذي يفرض وجود الذّات.

و أخيرا نجد أنّ العلاقة بين "الأنا" و "الآخر" هي علاقة تداخل و ترابط، فلا يمكن أن يكون "الأنا" موجود بدون "الآخر" و العكس صحيح.

[1]- نهال مهيدات: الآخر في الرواية النسوية العربية، في الخطاب المرأة و الجسد و الثقافة، جدار للكتاب العالمي، عمان، ط1، 1428هـ - 2008م، ص: 37.

الفصل الثاني

تجليات الأنا و الآخر في رواية العطر الفرنسي

- توطئة
- قراءة في العنوان
- قضايا المتعلقة بالأنا (النّحن)
- صورة الآخر في الرّواية
- تقبل الآخر
- تمثلات العلاقة بين الأنا و الآخر
- الأنا بين الإنبهار بالآخر و خيبة الأمل

توطئة:

إستعان الكاتب "أمير تاج السر" في رواية "العطر الفرنسي" في حديثه عن الآخر لبعض المؤشرات التي تتعلق بالأنا العربيّة و الآخر الغربي، فالرّواية من بدايتها إلى نهايتها تشير إلى تصوير العلاقة بين هذا الآخر الغربي و الأنا العربيّة، لذلك فإنّ الحدث البارز في الرّواية هو قدوم هذا الآخر و كيف كانت ردّت فعل الأنا من هذا المجيء المفاجئ و هذا ما جاء بيانه و توضحه في هذا الفصل.

قراءة في العنوان:

ـ يعدّ العنوان المدخل الرّئيسي الذي يعتمد عليه الكاتب أو المبدع بصفة عامة في إنتاج عمله الفنّي و هو بمثابة الرّسالة التي يستقبلها المتلقي، إذ يمثل أولى عتبات النّص التي يمرّ بها المتلقي، فهو يأتي في صدارة الموضوع المراد تلقيه و يجب أن يكون ملائم للمادّة الإنتاجيّة للمبدع، و كثيرا ما نجد العنوان مشوّقا ،و هذا ما يجعل القارئ تتولد لديه رغبة جامحة للإطّلاع على محتواه.

و العنوان للكتاب كالإسم للشّيء، به يعرف و بفضله يتداول، يشار به إليه و يدّل به عليه، يحمل وسم كتابه، و في الوقت نفسه يسمه العنوان بإيجاز يناسب البداية، علامة ليست من الكتاب جُعلت له، لكي تدل عليه." [1]

فالعنوان إذن هو صورة الكتاب التي تعبّر عن محتواه و له أهمية كبيرة في الدّراسة و من المستحيل أن نجد عنوان موضوع ما لا يتناسب معه إذ يجب أن يرتبط الموضوع المتحدث عنه بالعنوان." و في رواية العطر الفرنسي التي بين أيدينا للكاتب السوداني "أمير تاج السر" الذي هو أحدث أعماله، نجد العنوان بذاته يمثل وجود الغرب منذ البداية، فالرّواية في شكل عام تطرح تأثير الغرب على العقل العربي و تبتعد عن فكرة علاقة الذّات "بالآخر"، بل تركّز على علاقة الذّات بنفسها، مما يجعل العطر مرآة متشظّية ليس

[1] ـ د. محمد فكري الجزار: العنوان و سميوطيقا الإتصال الأدبي، دراسات أدبية، الهيئة المصرية للكتاب، د.ط،1998، ص: 15.

إلاّ، لكنها مرّة أخرى تعتمد على تقديم كل تلك الأفكار عن طريق الحبكة الدرامية، و الشّخصيات المعتمدة التي يتحوّل بعضها إلى أنماط، وهو ما يساعد على تقديم صورة كاملة لمجتمع حي غائب." [1]

فكلمة العطر توحي بأنّ هناك شيء يقع في النّفس و يؤثّر فيها، شيء جميل يذهب العقول و يدخل السّعادة و السّرور في قلوب النّاس مما يُنتجه من رائحة زكيّة و يتسلل إلى الأعماق ليأخذ الإنسان إلى عالم آخر عالم جميل مليء بالسّعادة و الحيويّة و الفرح، فلقد شبّه الكاتب الفرنسيّة "كاتيا كادويلي" بالعطر والتي تمثل الغرب بصفة عامة، و هذه دلالة على الإعلاء، من قيمة الغرب و تصويره في مشهد رائع للمجتمع الشّرقي، و بما أنّ حي غائب حي مهمّش يعاني الفقر المدقع و حالة إجتماعيّة مزرية فإنّ مجيء هذه الفرنسية كان بمثابة طيف حلّ على هذا الحي و ذلك ليقلب موازينه رأسًا على عقب و ما أحدثه هذا المجيء المفاجئ من تغيير على سكان هذا الحي، " فبحكم تعاسة البيئة التي تضطرب فيها أحداث هذا النّص لم يسبق لسيميائيّة الرّوائح العطرة وظيفة تذكر و قد حاول النّص أن يضئل من إنتشار النتانة بنقل مسار الأحداث السّردية إلى "علي جرجاني"، وإلى "حي غائب"، وإلى جعل الحياة تتجلى في

أنضر وجهها مجسداً في "كاتيا كادولي" و ما إبتدأت تتعطر به من روائح كريمة." [1]

[1] ـ سيرين أبو النجا، منذ 27 فبراير 2010/ 00:00 www. Al hayat . com.

"قبل أن تأتي الفرنسية و تضخّ ذلك العطر الذي أنتظره بشدة." [2]

"ـ كما نجد أنّ هذا الجهد الذي بذله الرّوائي "أمير تاج السر" في صياغة العنوان خدم النّص كثيراً مثلما خدم القراءة لأنّه جعل صلة وثيقة بين عنوان الرّواية و محتواها، لأنّ شكل العنوان و أسلوب بنائه و مستواه الدّلالي يتأسس في حقيقة الأمر في علاقته مع القارئ أولاً و قبل كلّ شيء، لأنّ الغرض من صياغته على ذلك النحو من الإختيار و التّدقيق، إنما يراد به إستدراج القارئ إلى النّص." [3]

و هذا ما نجده في رواية "العطر الفرنسي" فالعنوان في هذه الرّواية يجذب القارئ للتّصفح والإطّلاع عليها و التّفاعل معها،" فكلمة "العطر الفرنسي" توحي بالمعنى الدّقيق على ما تحتويه الرّواية من أحداث، فالشّحنة العاطفيّة و المعرفيّة، و الجماليّة التي تودع في عبارة العنوان لا يفسّرها المضمون النّصي، و إنّما تفسّرها الرّغبة التي تنشأ في قرارة القارئ و تحرّك حين اللّقاء، الأوّلي بالعنوان، والذي تتم فيه النداءات المنبعثة من العبارة صوب القارئ و تحرك فيه فضولاً، أو حيرة، أو تساولاً، أو تستقر فيه المشاعر محددة، أو تدرجه ضمن ذاكرة ترتد به إلى قضايا لها صلة بتاريخه الخاص و العام." [4]

---

[1] ـ ينظر:عبد مالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية "زقاق المدن"، ديوان مطبوعات الجامعة، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، د.ط، 1995، ص: 284.

[2] ـ امير تاج السر: العطر الفرنسي، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت لبنان، ط1، 1431هـ – 2010م، ص: 19.

[3] ـ ينظر: د. سعيد بوطاجين، المحكي الرّوائي العربي، أسئلة الذات و المجتمع، دار المعية للنشر و التوزيع، عين الباي ، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2014، ص: 95

[4] ـ ينظر: د. سعيد بوطاجين، المحكي الرّوائي العربي، أسئلة الذات و المجتمع، المرجع السابق، ص: 96.

و عليه فإنّ عنوان "العطر الفرنسي" لها دلالات تاريخية و نفسيّة تضمنتها الرّواية و هذا ما إلتمسناه أثناء دراستنا لها و الولوج في أحداثها فهذا العنوان يحمل أحداث تاريخية مرّت بها المجتمعات العربيّة و تأثّرها بالغرب و إنبهارها به.

و على الرغم من أنّ عنوان هذا النّص "العطر الفرنسي" يبدو نظريًا مثبتا قبل نّص الرّواية إلاّ أنّه في الحقيقة كتب بعد إنجاز كتابة النّص (إذ من العسير أن يختار روائي عنوان روايته قبل كتابتها نهائيا) فكأنّ وضع هذا العنوان يندرج ضمن "ما بعد اللّغة"" [1]

ـ فالكاتب الروائي يكتب الرّواية أوّلاً و يضبطها و عند ما ينتهي من تدوينها يفكّر في أن يضع عنواناً مناسباً لروايته بحيث يجب أن يكون هذا العنوان مضبوطاً و يلازم الموضوع الذي تتحدث عنه الرّواية، فالعنوان المختار يجب أن يكون متّصلاً بالرّواية و ليس خارجاً عنها.

ـ "ونلاحظ، أنّ هذا العنوان مرتبط إرتباطاً عضويًا بالنّص الذي يعنونه، فيكمّله و لا يختلف معه، و يعكسه بأمانة و دقّة فكأنّه نّص صغير، يتعامل مع نّص كبير: فيأخذ به، و يهيئ له السّبيل للمقروئية لأنّه يكشف عمّا أراد الكاتب أن يبلّغه إلى متلقيه، و أي عنوان لأي كتاب يكون عبارة صغيرة تعكس

[1] ـ ينظر: عبد مالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرّواية "زقاق المدن"، المرجع السابق، ص: 277.

عادّة كلّ عالم النّص المعقد الشاسع الأطراف، و أدنى تأويل لعنوان هذا النّص باللّغة العادية يفترض أن يقدّم على بعض هذا النحو:

ـ رواية تجري أحداثها بشارع شعبي صغير إسمه حي غائب إخترت لها عنوان: "العطر الفرنسي"، فلننظر كيف إستطاع العنوان الفني أن يطوي هذا الكلام الكثير في عبارة واحدة مؤلفة من لفظين إثنين فقط....." [1]

العنوان سمة أساسية للنصوص لا يمكن تجاهلها لأيّ من الأسباب حتى يتسنى للقارئ فهم ما يتلقاه ويستوعبه .

ـ ونظرا لهذه الأهمية شغلت عناوين النّصوص الأدبية في الدّراسات الحديثة حيّزاً من إهتمام النقاد، رأو فيه عتبة مهمة ليس من السهل تجاهلها، إذ يستطيع القارئ دخول عالم النّص دونما تردّد مادام إستعان بعنوان النّص.

ـ فالعنوان هو بوابة النّصوص يسهل على القارئ الولوج داخل أغوار النّص و فهم معانيه و محتواه، فالإستعانة بالعنوان شرط أساسي لا يمكن للقارئ أن يحيط بمعالم النّص إلاّ من خلال هذا المدخل الرئيسي للنّص.

[1] ـ ينظر: عبد مالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرّواية "زقاق المدن"، المرجع السابق، ص: 277 ، 278.

"ـ كما تتجلى أهمية العنوان فيما يشيره من تساؤلات لا نلقي لها إجابة إلاّ مع نهاية العمل، فهو يفتح شهية القارئ للقراءة أكثر، من تراكم علامات الإستفهام في ذهنه ، التي بالطبع سببها العنوان فيضطر إلى دخول عالم النّص بحثا عن إجابات لشك التساؤلات بغية إسقاطها على العنوان." [1]

العنوان هو الحل الذي يتوصّل إليه المتلقي لكي يتخلّص ممّا يختلج في ذهنه من إشكالات عجزَ هذا القارئ عن فكّ شفراتها، لذا يجد ضالته في هذا العنوان للتقليل من حدّه و صعوبة هذه التساؤلات و الدخول في النّص بسهولة و التّفاعل معه.

و عليه فإنّ جمالية العنوان تتلخص في مقدرة الروائي "أمير تاج السر" في "رواية العطر الفرنسي" على إستقطاب القارئ و جذبه إلى دراسة خفايا النّص، و الغوص في أغوار أحداث الرّواية.

[1] ـ ينظر: أ. عبد القادر رحيم ، العنوان في النص الإبداعي أهميته وأنواعه ، مجلة كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر ، بسكرة (الجزائر) ، العدد الثاني و الثالث ، جانفي ـ جوان ، 2008،ص:11.

القضايا المتعلقة بالأنا (النّحن):

ـ تعدّدت قضايا الرواية العربية و اختلفت حسب الروائيين و حسب طبيعة الموضوع المتناول بحيث ساهمت رواية "العطر الفرنسي" في رصد قضايا المجتمع العربي من خلال توظيف "حي غائب" كرمز من الرموز الموحية إلى التخلف و الفقر، هذا الحي الذي كانت تدور فيه أحداث الرواية.

"لم يكن خبراً عاديا ذلك الذي إلتقطه "علي جرجار" مصادفة، و أسرع به راكضاً إلى "حي الغائب" الشعبي في أطراف المدينة حيث يعيش." [1] . فانتشار خبر قدوم الفرنسية "كاتيا كادويلي" من الوهلة الأولى كان منطلقه الأساسي من هذا الحي (غائب الشعبي) .

فتسمية الحي بهذا الإسم كان له دلالة، "حتى إسم غائب الذي يعني عدم الوجود أو الإنمحاء لم يأت من فراغ أو سذاجة، إنّه الإسم الذي إتفق عليه الجميع و هم يضعون اللّبنات الأولى في بناء الحي." [2]

ـ فكلمة غائب كانت مقصودة فهي تدّل على أنّ هذا الحي الغائب تماماً عن عين السلطة، لم تكن له قيمة و لم يؤخذ بعين الإعتبار، هذا الحي الذي كان يعاني الفقر و الجهل و التخلف لأنّ سكانه كانوا يعتمدون على الإشاعات، كان الحي بسيطاً للغاية، فخبر وصول الفرنسية إلى الحي لم يكن خبراً حقيقياً، بل مجرد أقاويل إنتشرت في الحي و قام سكان الحي بتضخيمها و نشرها، "و بالرّغم من أنّ الخبر في حدّ

[1] ـ الرواية، ص: 7.

[2] ـ المصدر نفسه، ص: 11.

ذاته كان مقتضباً و غامضاً و بلا أي علامات إرشادية، إلاّ أنّ خيلات جرجار كانت حاضرة دائماً، و مستعدة لتطويرها في أي وقت إلى خبر ذي جدوى و تأثير." [1]

كان "علي جرجار" واسع الخيال فبمجرد سماعه الخبر ذهب مسرعاً به إلى سكان الحي.

و نلتمس في الرواية حالة الفقر المدقع التي كانت تحيط بسكان الحي من بينهم "علي جرجار" الذي لم يتزوج في حياته بسبب الوضع الإجتماعي الذي كان يعيشه "و بقائه عازباً بلا زواج" [2]

حتى بيته كان كسائر بيوت الحي يرمز للحالة مزرية "كان بيته في وسط الحي تقريباً، بيتاً كسائر البيوت، نصفه من طين و نصفه من خشب مشقّق. الذين أنشأوا الحي فيما مضى، أنشأوه

هكذا.....كانوا واعين سطوة الفقر على حياتهم." [3]

فالحي في حدّ ذاته رمز لكل أنواع المعاناة التي يمكن أن يعيشها الإنسان البسيط، إنّ هذا الوضع الوضع المتدهور الذي رصده الرّوائي و مثّله في سكان الحي الذين يمثلون الأنا العربية سببه الأسرة الحاكمة التي تهمل شعبها، "و حيث جاءت أجيال بعد ذلك، طرقت التعليم أو عرفت سكّة السّفر إلى بلاد

[1]- الرواية، ص: 7.

[2] - المصدر نفسه، ص: 9.

[3] - المصدر نفسه ، ص: 11.

الخليج العربي و أرويا، و عادت. لم تحاول أن ترمّم حائطاً مشقوقاً، أو تدفن حفرة يمكن أن تبتلع أحداً، أو حتى تمدّ يدا المساعدة لطريق معوج، ليستقيم. عادت لتعيش الحياة كما عرفتها، و نشأت عليها." [1]

ـ اللاّمبالات كانت واضحة من طرف السّلطة على سكان الحي، فلا أحد يهتم و لا شيء يتغير في حي غائب، حتى أبواب البيوت كانت تعبر عن عناء هذا المجتمع، "فتح باب بيته فأحدثه ذلك الصّرير المزعج، الذي كان أيضاً جزءاً من ثقافة أبواب البيوت في الحي، لا باب ينفتح بلا صرير و الباب الذي ينفتح هادئاً و سلساً لا يحترمه أحد." [2]، فرغم بساطة الحياة المعيشية وسط سكان الحي، كانوا يدًا واحدة تجمعهم عادات و تقاليد، روح واحدة حلّت في جسد واحد فالكلّ يعاني و الكلّ يتألّم من مرارة الفقر الذي أصبح شيئاً حتمياً على سكان الحي.

عمد الكاتب إلى توظيف بعض الشّخصيات في الرّواية للتّوضيح أكثر في مدى تحمل هذا المجتمع للحالة الصّعبة التي يمر بها و في الوقت نفسه يشير إلى وضع الأنا العربية التي آلت إليه في بلادها بسبب هذا الآخر الذي حوّل حياتها إلى جحيم و من بين هذه الشّخصيات الواردة في الرّواية نجد موسى خاطر "الذي كان يعمل في إحدى الدوائر الأمنية و يتخذ الحي مادة لتقاريره اليومية." و الحكيم النبوي الذي *كان* رئيساً "الرئيس غير الرسمي للحي، لأنّ الأحياء كانت بلا رؤساء رسميين." [3]

[1] ـ الرواية، ص: 13.

[2] ـ المصدر نفسه، ص: 12.

[3] ـ. المصدر نفسه ، ص: 12.

هذا الحي لم يحظى حتى بأن يكون له رئيس يسيره و يدير أموره، و" منعم شمعة تاجر الشنطة المسافر دائماً، أو العائد من سفر، بوصفه واحداً من وجهاء الحي." [1]

كان يملك محلاً في الحي، و"حليمة المرضعة قارئة الكف و المصائر." [2] و هذا يدخل في عادات الأنا العربية فهم يطمحون إلى معرفة المستقبل الذي ينتظرهم

و ما تخبؤه لهم الأيام المقبلة ذلك لأنّ حياتهم المظلمة كانت كسجين لا يستطعون الخروج منه، و "تعيس الذي كان إسمه شاكر، و اكتسب ذلك الإسم، لأنه الوحيد الذي لم يذق ماء زمزم، حيث أرسله إلى الحي أحد المحسنين و اصطفى الناس طوابير شرهة و مجنونة لتذوقه أو الإغتسال به." [3]

هذه بعض الشّخصيات التي جرّبت الحياة التّعيسة داخل الحي فجميعهم ذاقوا من كأس المعاناة،"قد يقترح البعض إسم سلافه الجميلة، لأنّها جميلة جداً، لكن لا محلّ لجمالها هنا....." [4]

لا قيمة لأيّ شيء في هذا الحي حتى الجميل لم يعد جميلاً لأنّه لا فائدة من وجوده، غاب الحي و غاب معه كل شيء.

[1] ـ الرواية ، ص: 13.

[2] ـ المصدر نفسه، ص: 13.

[3] ـالمصدر نفسه ، ص: 13.

[4] ـالمصدر نفسه ، ص: 13.

ـ إنّ هذا الحي عان مادياً و معنوياً لدرجة الإنهيار "كنت فقيراً جداً في الواقع، فقيراً و جزءاً من منظومة الحي نفسه، و منظومات أحياء أخرى في مدينة لم أعش فيها من قبل لكنني عبرتها." [1]

لم يكن "علي جرجار" وحده الذي يعاني معضلة الفقر بل كان هذا الأخير ناسجاً خيوطه في أنحاء الحي و ما جاوره من أحياء أخرى.

ـ إنّ الفساد الإجتماعي الذي ساد في حي الغائب الشعبي كان يتطور بشكل مستمر بحيث إنحرف أهل هذا الحي عن أخلاقهم و ساروا على الطّريق الخاطئ، فحاجة هذا المجتمع دمرّت حياتهم، حرموا من الزّواج و تأسيس عائلة محترمة فلجئوا إلى مواعدة النساء و إقامة علاقات حميمة معهنّ و تركهنّ بعد ذلك، "كانت سلافه جميلة جداً، والتي كان صوتها في الماضي أغنية أطرب لها...و "يا علي" التي تنطقها في فم عسلي ترجّني من أقصاي حتى أقصاي.... لم تكن من الائي وعدتهن بالزّواج و أخلفت و لا من اللائي سمحن لي أو لغيري من أشقياء الحي بتعقّب فتنتهي إلى أكثر من السّلام و رد السّلام." [2]

لم يكن بوسع هؤلاء الأشخاص مثل "علي جرجار" و غيره من سكان هذا الحي فعل شيء يسعده يبني كيانه إلاّ هذا الطريق يمكنه أن يشبع غريزته، "تعكر وجه الإثيوبية زهراوات أرتو التي كانت تعمل خادمة لدى قارئه المصائر منذ زمن طويل و واحدة لم أدغدغ مشاعرها بطلب الزواج فقط لكنني تركتها

[1] ـالرواية، ص: 20.

[2] ـ المصدر نفسه، ص: 21.

ترتدي فستاناً أبيض و عقداً من القصدير أحضرته لها من توافه السوق تركتها ترتدي حلماً دافئاً، و وهماً بحياة سعيدة بعيدة عن خدمة البيوت، هربت في ليلة الزّفاف." [1]

بطل الرّواية هنا لم يكن هدفه التّخلي عن حبيبته أو الإستهزاء بمشاعرها و التّخلي عنها و لا عن غيرها و إنّما الأوضاع التي كان يعيشها وسط سكان حي غائب الشّعبي هي التي فرضت عليه أن يقوم بهذا السّلوك الخارج عن العادة و المنبوذ في المجتمعات العربية خاصة.

ـ حتى ثقافة هذا المجتمع كانت بسيطة جداً تتماشى مع عقليتهم، "رنت عديلة مرّة أخرى ... و هاتفي بلا رصيد، مرتين أخريين و بلا رصيد ... هذه أيضاً ثقافة نعتزّ بها، أن نمتلك هاتفاً محمولاً ربما تستدين سعره، تنتقيه من ماركة شهيرة ك "نوكيا" أو "سامسونج"، تطوف به مباهياً، تشتت رقمه هنا و هناك، ودائماً بلا رصيد." [2] ، تعودّوا على العيش بهذه الحالة حتى أصبح واقعاً يعتزون و يفتخرون به.

ـ كان هناك نفور للأنا من الآخر في بعض المسائل خاصة المتعلقة بالدّين، لأنّ الأنا العربية تعتنق الدّيانة الإسلامية و تبغض الدّيانات الأخرى مثل المسيحية و اليهودية و غيرها، و قد بدا جليًا هذا النفور، "الطرق على باب المرضعة كان ملحّاً، و الإثيوبية تظهر من جديد بعد أن فتحت الباب:

[1] ـ الرواية، ص: 23.

[2] ـ المصدر نفسه، ص: 33.

ـ شاكر تعيس و القبطي ميخا يامرضعة.

ـ ماذا يريدان؟

ـ ميخا يريدك أن تقرأي كفّه بعد أن أغلقوا مقهى روماني اليوم قبل أن تكتمل العشرة أيام التي حدّدوها....

إنزعجت المرضعة بشدّة تفقد الوّد فجأة، و تتحول إلى جمر:

ـ لا أقرأ كفوف النّصارى، أنت تعرفين يا زهراوات..... لا أقرأها أبداً." [1]

ردت الفعل التي أبدتها حليمة المرضعة بانزعاجها الشّديد من هذا النصراني دليل على تمسكها بديانتها الحقّة (الإسلام)، فالأنا العربية متشبثة بالدّين الإسلامي هذا الدّين الذي لا يضاهيه دين آخر على وجه المعمورة.

ـ و بما أنّ ميخا ميخائيل كان نصرانياً و يعيش بين سكان الحي و كذلك كان الصديق المقرّب لعلي جرجار فإنّه لم يتركه على ديانته بل أدخله إلى الإسلام، "ألبسة ثوباً و عمامة من ثياب النّظيفة. أخذته في يوم جمعة مبارك إلى الجامع الكبير في وسط السوق، حيث يصلي الوجهاء و الأثرياء و قادة العمل

[1] ـ الرواية، ص: 71.

الحكومي في المدينة، وجدنا بالكاد موضعاً نجلس عليه لنستمع إلى خطبة الإمام التي كانت بالصّدفة عن سماحه الدعوة، والأجر الكبير من إدخال رجل في الإسلام." [1]

و هكذا اعتنق ميخا ميخائيل الإسلام و أصبح من المسلمين، "أنطقه الشهادتين ببطيء، فنطّقهما متلعثماً لكن من دون أخطاء. أفلته الإمام و اقترب مني ليهمس لي بضرورة أخذه إلى المستشفى لختانه حتى يكتمل إسلامه." [2]

و بالفعل فعلها "علي جرجار" و استطاع أن يحبّب الإسلام في قلب ميخا ميخائيل و جعله يتمّ دينه على أكمل وجه بتطبيق جل قوانينه، هكذا يجب أن تكون الأنا العربية تفتخر بدينهاو تدعوا إليه بحرية مطلقة.

ـ إنّ مثل هذه القضايا التي تناولتها رواية "العطر الفرنسي" المتمثلة في القضايا السّياسية و الإجتماعيّة و الثّقافية و الدّينية كانت تحتوي على خلفيات لهذه الأنا تريد أن توضحها بطريقة فنية جمالية استطاع الكاتب أن يضعها في قالب إبداعي جميل، فالأنا العربية لم تستطع أن تدافع عن نفسها بالمواجهة المباشرة اتجاه الآخر الغربي الذي دخل حياتها و استعمر أراضيها و نهب ثرواتها و استغل ضعفها، و جعلها تعيش في دّوامة الفقر و الجهل و حجب عنها نور السّعادة و حبّ الحياة و أفسد ما في

[1] ـ الرواية، ص: 86.

[2] ـ المصدر نفسه، ص: 86.

أحلامها من حقيقة و وجود، لتكتب كلمات جديدة في مذكّرات السّفر إلى حاضر الفقر و الحلم بالعيش مع من تريد داخل قصر القلب الذي يلّون عيون الحب و الحياة لأجل السّلام و الحياة.

صورة الآخر في الرّواية:

تتمحور دراسة صورة الآخر في رواية "العطر الفرنسي" بسلبياتها و إيجابياتها، و كما يشّكله هذا الآخر من إنعكاسات على الأنا، فالرّاوي يرسم صورة الآخر الغربي المتمثل في الفرنسية و ما أحدثه هذا الأخير من إنطباعات على سكان الحي غائب و خاصة منهم على "جرجار".

ـ فلقد تجسّدت صورة الآخر بنمط إيجابي المتمثّل في قدوم الفرنسية "كاتيا كادويلي" في قول الرّاوي، "ستأتي كاتيا كادويلي في الأيام القادمة، للإقامة معكم في الحي فترة من الوقت، ضمن دراسة عالمية... استضيفوها في أيّ مكان بينكم، و عيشوا حياتكم كما هي." [1]

هذه الفرنسية القادمة إلى حي غائب الشّعبي، و هو حي مهمّش من السّلطة و يعاني مرارة الفقر، فكان خبر مجيء هذه الفرنسية إلى الحي أمر إيجابي على سكان الحي، وذلك بتخليصهم من المعانات التي كانوا يعيشونها و تغيير حياتهم إلى الأفضل، و كانت الشّخصية البارزة في هذا الحي هي "علي الجرجار" ولد ونشأ في الحي نفسه." [2] بحيث إستقبل "علي الجرجار" الحدث (مجيء الفرنسية) بطريقة غريبة و مختلفة عن باقي سكان حي غائب،"....كان يمحو في ذهنه و يضيف، يعدل و يلغي التعديل، أضاف "باريس" مرة مدينة ذات جاذبية و خصر دقيق، عاد ومحاها مخافة أن يظنّها البعض إمرأة

[1] ـ الرواية، ص: 7.

[2] المصدر نفسه، ص: 9.

فيشتهونها، جعل "كاتيا كادويلي" الفرنسية فتاة في العشرين من عمرها، ثم إستغرب كيف يجعل فتاة في العشرين تأتي لتقيم في تلك الفوضى...." [1]

كانت هذه الأوصاف مجرد توقّعات و تخيّلات في ذهن "علي جرجار"، بحيث رسم صّورة جميلة لهذه الفرنسية، و كيف يمكن لمثل هذه الفتاة أن تعيش في حي فقير و مليء بالفوضى، فمجيء هذه الفرنسية إلى الحي كان له أثر كبير على شخصية "علي جرجار" فلقد كان هذا الخبر شغله الشاغل الذي نشره وسط الحي "ستزورنا في القريب العاجل، النجمة الفرنسية "كاتيا كادويلي"، لتجرّب الحياة الشّعبية وسطنا، وذلك بخصوص مشروع عالمي كبير يخصّ الدّعاية و الإعلان تقوم بالمشاركة فيه، ثم تعود بعد ذلك إلى بلادها ،و تذكرنا بالخبر" [2] فمجيء الفرنسية إلى هذا الحي سيغيّر الكثير، يغيّر إسم الحي من الغائب إلى المشهور عالميا، و كأنّ هذه الفرنسية تجعل منه حيّاً متحرراً و ذو قيمة، و ذلك بما تقوم به بالكتابة عن هذا الحي و نشره في وسائل الإعلام، "و كانت عبارة تذكرنا بالخير قد جاءت بعد نحت شديد للذهن، و ليست مصادفة، إنّما تعني أشياء عديدة هامة مثل أن تجعلنا مشاهير في العالم كله بتوثيقنا في شريط تسجيلي.... ترسل لنا المال اللازم لتطوير الحي و دفن بالوعاته و حفره..." [3]

[1] الرواية، ص: 10.

[2] ـ المصدر نفسه، ص:11.

[3] ـ المصدر نفسه، ص: 11.

فحضور الفرنسية إلى الحي هو إخراجه من فقره و حالته المزرية و المعانات التي يعيشها هذا الحي، و ذلك بالعمل على إعادة بنائه من جديد.

فنجد مثلا ميخا ميخائيل يريد من الفرنسية "كاتيا كادويلي" في مساعدته للهجرة إلى فرنسا من أجل تحقيق حلمه "في الواقع، يريد الأخ ميخا أن تصنع له معروفا ينساه لك. تلعثم تعيس، بينما كان رفيقه صامتا و إحدى قدميه تهتز.

ـ يريدك أن تقدّمه إلى الفرنسية "كاتيا كادويلي" حين تأتي إلى الحي ..... يريد الهجرة إلى فرنسا..... سيكمل تعلمه آلة الأورج و يصبح عازفا محترفا ....." [1]

ــ لقد كان لحضور الآخر في هذه الرواية دور بارز في حياة الأنا العربية، حيث اعتبرت هذه الأنا الآخر على أنّه ذلك الحلم المنتظر منذ سنين، و أنّ هذا الآخر بإستطاعته أن يمدّ هذه الأنا بكل ما يحتاجه من متطلبات الحياة، التي كانت غائبة عنها (الأنا).

فمثلما كان للآخر إيجابيات في الرّواية كان أيضا يحمل في طيّاته سلبيات، فهذه الفرنسية سيطرت على عقول سكان الحي عامة و على جرجار خاصّة، فأصبح الكلّ يهتف بقدومها.

[1] ـ الرواية ، ص: 35.

ـ لقد كان تأثير الغرب على العقل العربي بمثابة سرطان إنتشر في فكر الأنا العربية ففي الرّواية نجد "علي الجرجار" الشّخصية الرئيسية المهوسة بهذا "الآخر" (كاتيا كادويلي) فمنذ أن تلقى خبر مجيء الفرنسية أصبح فكره مرتبطا بها، حيث بدأ يتخيّل في مواصفات هذه الفرنسية. ".....جعل كاتيا كادويلي الفرنسية فتاة في العشرين تأتي لتقيم في تلك الفوضى...وضع حول عنقها عقداً من الماس..." [1]

يبدو أنّ الفرنسية (كاتيا كادويلي) غزت عقل (علي جرجار) قبل أن تأتي إلى الحي، حيث أنّه تصّور أنّها ستقع في حبّه و تتزوجه "و ربما تحب أحدنا بجنون، و تعرض عليه الزّواج، تحبّ أحدنا بجنون، و تعرض عليه الزّواج بالذّات تخصّه هو شخصيًا من دون سائر سكان الحي." [2]

هذه الفرنسية جعلت من شخصية "علي جرجار" ذاتاً متصارعة مع نفسها و وصل به الأمر إلى حدّ المرض النفسي لأنّ طيفها كان يلازمه" أول مكان ظهرنا فيه أنا و حبيبتي كاتيا علناً في الحي." [3]

تصّور في ذهن "علي جرجار" أنّ الفرنسية أتت بالفعل و تزوجها، "و أشرت إلى زوجتي، قلت: ليس أنا و لكن هي تطلب زجاجة من زيت عبّاد الشمس" [4]

[1] ـ الرواية، ص: 10.

[2] ـ المصدر نفسه ، ص: 11.

[3] المصدر نفسه ، ص: 121.

[4] ـ المصدر نفسه، ص: 121.

بالغ "علي جرجار" في تخيلاته اتجاه تلك المرأة الغربية (كاتيا كادويلي)، فتحوّل هذا العشق إلى مرض نفسي حاد أوصله إلى مرحلة الجنون، "ستشرفنا قريبا في البيت بمناسبة إعلان زواجنا أنا و كاتيا.... سنقيم حفلاً صغيراً ندعو إليه الأصدقاء" [1]

إستطاع "علي جرجار" أن يحقّق نوعاً من خيالاته و هي عقد قرانه من هذه الفرنسية التي أثّرت عليه، و قد ولّد حبه لها الغيرة عليها من سكان الحي و رأى بأنّهم يحسدونه عليها، "و غالباً ما سيربك أهل غائب كلّهم حين يروننا معاً." [2]

"فتحت باب العربة و أركبتها في الخلف، و ركبت بجانب السّائق حتى أراقب عينيه تحاولان النيل من جمالها." [3] ، هذه التصرفات التي كان يقوم بها "علي جرجار" أدهشت سكان الحي لأنّه كان يتحدث مع إمرأة لم تكن موجودة في الأصل بل كانت مرسومة في خياله.

"فجأةً قاطعني السائق، و لونه شاحب بعض الشيء....

ـ من تكلّم يا أخ؟.

ـ زوجتي .... زوجتي الفرنسية

---

[1] ـ الرواية ، ص: 122.

[2] ـ المصدر نفسه، ص: 122.

[3] المصدر نفسه، ص: 123.

و أشرت إلى المقعد الخلفي." [1]

كان "علي جرجار" على يقين من أنّه تزوج بالفرنسية التي سماها بكاتيا الملاك و لم يتفطّن لنفسه أنّه يعيش حلماً، فكان عندما يقدّمها لسكان الحي يستغربون مما كان يقوم به، "..... قلت لها هذا عبد الله جنّي صاحب الكافيه و العضو السّابق للبحث الإشتراكي. مدّت يدها لتصافحه، و لم يمدّ يده التي كانت ترتعش، وقلت من المؤكد أنّه من صنف لا يحب مصافحة النّساء." [2]

بالرغم من رؤية "علي جرجار" ردة الفعل التي كان يتلقاها من سكان الحي إلاّ أنّه استمرّ في طريقه الذي كان يسير عليه طريق الوهم و الخيال و زاده ثقة في نفسه بل و إنّه كان يحطّ اللّوم عليهم، كما نجد أنّ غيرة "علي جرجار" على "كاتيا كادويلي" بدأت تتطوّر شيئاً فشيئاً إلى أن أصبح يستعمل العنف مع كل من حوله، فكل من يراه ينظر إلى زوجته فسينال عقاباً منه، فتحوّل إلى شخصية لا تحمل في نفسها شفقة و لا رحمة، " وقفت أمام عركي صاحب البقالة و أنا أستعر، كان عنده رجل مسن يسأل صبغة بيجون الرخيصة ليفاجئ بها إمرأته، حين يعود شاباً، و أزحته جانباً بلا رحمة، و أخرجت سكيني،

[1] ـ الرواية، ص: 124.

[2] ـ المصدر نفسه، ص: 126.

و رأيت رعباً في عيني البقال، لم أره في عيني أحد من قبل، لوّحت بالسكين في وجهه، فتفاداها، و هويت على رأسه بالعصا ليخرج الوجع و الدّم." [1]

إنّ حالة جرجار النفسية تأزّمت و فاقت الحدود و تم نقله إلى السجن، "كنت في سيارة لونها أحمر داكن، و قد رسم على جانبها شعار ما. يداي مقيدتان إلى هيكلها بسلاسل من حديد، و جسدي في قمّة تهيجه يناضل، و يناضل، ولكن لا شيء سوى الألم و الدّم." [2]

و إنّ هذا التّأثر بالآخر عاد بالسّلب على حياة الأنا العربية المتمثلة في شخص "علي جرجار" المجسّدة في الرّواية.

[1] ـ الرواية، ص: 138 ـ 139.

[2] ـ المصدر نفسه، ص: 141.

تقبل الآخر:

إنّ مسألة قبول الآخر أو رفضه من أهم القضايا التي تطرقت لها الرّواية العربية عامة و رواية "العطر الفرنسي" خاصة، فلقد أثار الرّوائي "أمير تاج السر" هذه المسألة في رواية "العطر الفرنسي"

ـ فحينما نعود إلى الرّواية نجد بأنّ "الآخر" لقي إهتماماً كبيراً من طرف "الأنا"، فحضور "الآخر" المتمثل في الفرنسية "كاتيا كادويلي" كان له تأثير على "الأنا" المتمثلة في "علي جرجار"، وهو بطل هذه الرّواية، و الذي تعلق منذ البداية برغبته الدّائمة لعناق "الآخر" و الإلتقاء به،" من خلال تصوراته الذّاتية المشحونة بعواطف في حتمية القبول و معايشة "الآخر" الذي يحقق له كل طموحاته و أماله و يعطيه الفرصة للإحساس بذاته دونما خداع و أقنعة زائفة حملها طوال سنين عمره في حي غائب الشعبي" [1] ففي الرّواية نجد تحمّس و لهفة "علي جرجار" للقاء الفرنسية التي يعتقد أنّها ستغيّر مجرى حياته إلى الأفضل، حيث يقول علي جرجار: "كانت في ذهني أشياء كثيرة أردت أن أنجزها قبل أن تأتي الفرنسية "كاتيا كادويلي" و تضع ذلك العطر الذي أنتظره بشدة." [2]

[1] ـ د. المثنى مد الله سليمان العساسفة: اللقاء الحضاري بين الشرق و الغرب لدراسة مقارنة في مختارات من الرواية العربية و الهندية، دار بليت الزمان، عمان، ط1، 2014، ص:

[2] ـ الرواية، ص: 19.

و يقول كذلك ".... لم يكن يهمني بقدر وجهها الذي سأراه، عيناها اللتين قد تكونان زرقاوين، أوسوداوين، أوبلون جديد لم تألفه عيوننا، لهجتها التي قد تكون سلمية، أو مكسّرة و بحاجة إلى ترميم، و قوامها الذي حتما رأيت مثله في شريط سينيمائي." [1]

و هذا يدل على أنّ "علي جرجار" كان في شوق شديد لرؤية "الآخر" و الإلتقاء به، بحيث نظر "علي جرجار" للإلتقاء "بالآخر" نظرة إيجابية.

حاول "علي جرجار"،" أن يستطيع لنفسه حالة من التوازن في مرحلة اللاّوعي و التي باشر من خلالها برصد حياته الجميلة مع هذه الفرنسية كاتيا كادويلي." [2] خيالات "علي جرجار" جعلته يصل إلى مرحلة اللاوعي فبدأ يصف هذه الفرنسية بمواصفات من نسج الخيال و كل هذا من أجل اللقاء بها.

"جرجار" الذي تخلى عن الكثير من صفاته و عاداته لصالح "الآخر"، (كاتيا كادويلي) التي ترمز للغرب، وكلّ هذا التغيير في حياة "علي جرجار" من أجل الترحيب "بالآخر" و التعايش معه، فالوضع المزري الذي كان يعيشه في حيّيه جعله يعيش في عالم الخيال ، و قد غيَّر سكان الحي من لافتات الدكاكين و استبدلوها بلافيتات تحمل إسم الفرنسية "كاتيا كادويلي" فنجد مثلا عركي صاحب المحل في

[1] ـ الرواية، ص: 19.

[2] ـ ينظر: د. المثنى مد الله سليمان العساسفة: اللقاء الحضاري بين الشرق و الغرب لدراسة مقارنة في مختارات من الرواية العربية و الهندية، المرجع السابق، ص: 61.

الحي أيضا كان مما يرحبون بالفرنسية، فقد قام بتغيير واجهة محلّه و جعلها تحمل إسم كاتيا،"...وجدت لوحة من تلك التي تعلق على واجهة المحلات، مكتوب عليها بخط عريض و بالغتين العربية و الإنجليزية:

بقالة كاتيا..... katia grocery

وقبل أن أندهش ....قال...عركي...

ـ سأعلقها على محلي حين تأتي صاحبتك." [1]

ميخا ميخائيل دقنس هو "الآخر" متأثر بهاجس قدوم الفرنسية، "أشاهد ميخا ميخائيل دقنس يرتدي على عنقه صليباً من ذهب، لم يظهر به من قبل في الحي." [2]

و حتى حكيم النّبوي الذي قام بكتابة قصيدة عن هذه الفرنسية قبل فكرة الظهور المفاجئ لهذا "الآخر"

"سمعت عن ملاك فهاج شعـــري و عربدت الصبابة في عيوني

و أصبح للمداد بريق حـــــرف يضئ لك الطريق فكــليميني

أيضا كاتيا الجميلة أين أنـــــت و أين الشوق للصّب الحزيــن

[1] ـ الرواية، ص: 41.

[2] ـ المصدر نفسه، ص: 80.

و أين صفاء نهر السين يسقي دمائك بالمحبة و الحـنيـــــن " [1]

ـ هذه القصيدة كانت من مظاهر تقبل "الآخر" فحكيم النّبوي نسج هذه الأبيات لولوعه بالفرنسية و شدّة تعلقه بها.

كما نجد الحوار القائم بين تعيس و ميخا ميخائيل دالاً أيضاً على الترحيب بفكرة قدوم الفرنسية و أراد أن ينتفع من هذه الأخيرة، "يريدك أن تقدمه إلى الفرنسية كاتيا كادويلي حين تأتي إلى

الحي..... يريد الهجرة إلى فرنسا.... ليكمل تعلمه آلة الأورج و يصبح عازفاً محترفا...." [2]

كانت الفرنسية "كاتيا كادويلي" مصدر تحقيق لأحلام سكان الحي، فميخا ميخائيل يريد منها أن تساعده في الهجرة إلى فرنسا من أجل الوصول إلى مبتغاه.

ـ لقد سيطر هذا "الآخر" على عقول سكان الحي بكامله، فامن أجل إستقبال هذه الفرنسية قام سكان الحي بتزيين محلاتهم فرفع إسم كاتيا عليها، "رأيت لافتات محلات البيع كلها تسقط، وترتفع مكانها لافتات أخرى.....بقالة كاتيا،....ملحمة كاتيا،.....مغسلة كاتيا،..... أيجار الدراجات ..كاتيا....

[1] ـ الرواية، ص: 81.

[2] ـ المصدر نفسه، ص: 36.

خياط الفساتين كاتيا،..... و حين عبرنا بحوار بين حليمة المرضعة، شاهدت زينة من الورد و الفوانيس الخضراء معلّقة عليه" [1]

إذن فكرة تقبل "الآخر" في الرّواية مبنية على أمال و أحلام و طموحات كانت متجسدة في أذهان سكان الحي عامةً و على جرجار خاصةً، و كان لهذا القبول "بالآخر" ناتج عن الثّقة العمياء في الغرب، بحيث يرو فيه السبيل الوحيد للخلاص و الخروج من هذا الواقع البائس.

[1] ـ الرواية، ص: 141.

تمثلات العلاقة بين الأنا و الآخر:

لقد تمكّنت رواية "العطر الفرنسي" من رصد العلاقة القائمة بين الأنا و الآخر، و هذا ما تجسّد في علاقة "علي جرجار" الشّخصية الرّئيسية مع الفرنسية "كاتيا كادويلي" حسب الرّواية التي بين أيدينا.

ـ منذ أن تلقى "علي جرجار" و سكان الحي خبر قدوم الفرنسية بدأت العلاقة تتوطد بين كل من "علي جرجار" و أهل الحي بهذه الفرنسية، و بما أنّ "علي جرجار" كان يمثل الأنا بصفة عامة في الرّواية فكانت علاقته بهذا "الآخر" الممثّل في الفرنسية "كاتيا كادويلي" علاقة حب و شغف بالرغم من أنّها لم تأتي في الأصل بل كانت مصوّرة في خيال جرجار، إرتبطت حياته كلّها بهذه الفرنسية، "غارقا في نصه الجديد، نص الفرنسية ذات المجيء الغامض التي إلتقط خبرها للتو كان يمحو في ذهنه و يضيف، يعدل و يلغي التعديل. أضاف "باريس" مرّة مدينة ذات جاذبية و خصر دقيق، عاد و محاها مخافة أن يظنها البعض إمرأة فيشترونها." [1]

بدأ حب "علي جرجار" للفرنسية يتطوّر شيئاً فشيئاً فأصبح هياماً عالقاً في قلب جرجار،

"جعل "كاتيا كادويلي" الفرنسية فتاة في العشرين من عمرها." [2]

[1] ـ الرواية، ص: 10.

[2] ـ المصدر نفسه، ص: 10.

هذه كانت مجرّد تصوّرات حول الفرنسية نحتها جرجار في ذهنه، و بعد طول انتظار لم يتحمل "علي جرجار" أن يبقى على هذه الحالة فقرّر أن يبحث عن الفرنسية في شبكة الأنترنت فتوجه إلى أيمن الحضاري ليساعده في عملية البحث و كان له ذلك، "أنظر يا جرجار.....لديك ثلاث كاتيات شهيرات، واحدة منهنّ هي صاحبتك بالتأكيد." [1]

توّصل أيمن الحضاري في بحثه إلى وجود ثلاث كاتيات مختلفات، "كاتيا لويس كادويلي الشهيرة بالبطة لأنّها لم تأكل في حياتها لحماً غير لحم البط." [2]

أمّا الثانية فهي كاتيا الشاعرة، "كاتيا هولم كادويلي.... شاعرة و مترجمة شهيرة." [3]

و كاتيا الثالثة المتمثّلة في الممرضة، "كاتيا جيرار كادويلي، الممرضة الحسناء." [4]

من بين هاته الكاتيات التي استخرجها أيمن الحضاري كانت كاتيا الممرضة هي المختارة لدى

"علي جرجار"، "أي واحدة منهن صاحبتن في رأيك؟

قلت من دون وعي...

[1] ـ الرواية، 46.

[2] ـ المصدر نفسه، 46.

[3] ـ المصدر نفسه، ص: 46.

[4] ـ المصدر نفسه، ص: 47.

ـ الممرضة.

ـ لماذا الممرضة بالذات و كلهن ممكنات؟

ـ لا أدري.....في عيني تلك الممرضة ما جعلني أحسُّ بذلك." [1]

وقع إختيار "علي جرجار" على كاتيا الممرضة لأنّه أحسّ بجاذبية إتجاه هذه الممرضة، إزداد ولع "علي جرجار" بكاتيا و لم يستطع التحكم فيما كان يشعر به اتجاهها، "لا أذكر بالتحديد متى بدأت علاقتي تتوطد بصور كاتيا الملاك." [2]

عند رؤية "علي جرجار" لهذه الصور ازدادت لهفته لها، حيث أنّه علّق صورها على كل شبر من البيت، التي كانت تعبر عن تحركات كاتيا و تصرفاتها، "كانت في بيتي حوالي ثلاثين صورة مختلفة لكاتيا الملاك، كلّها بجسم يجسد التفاصيل بجدارة و مطبوعة بطريقة فاجتهدت فيها ماكينات

الطباعة في مقهى عبد الله الجنّي" [3]

إنّ تفكير "علي جرجار" العميق بهذه الفرنسية جعله يصطنع لنفسه عالماً من نسج الخيال طوّره فيه علاقته الحميمة مع "كاتيا" إلى أن تزوجها، "لقد تزوجت كاتيا الملاك لأنّني أحبّها، وتزوجتني لأنّها أحبتني

[1] ـ الرواية، ص: 47.

[2] ـ المصدر نفسه، ص: 91.

[3] ـ المصدر نفسه، ص: 95 ـ 96.

أيضاً." [1] إستمر جرجار في تطوير علاقته مع زوجته حيث عاش تفاصيل زواجه خطوة خطوة، "لم تكن تدري، و لا أحد بخلاف موسى خاطر، يدري أنّ كاتيا الملاك موجودة بالفعل في حي غائب، و في بيتي بالتحديد، و نعيش معاً شهر عسل." [2]

لهذا نجد جرجار بهذا الخيال إستطاع أن يصوّر الحياة الحقيقية الواقعيّة فقد عاش هذه الحياة بكل حذافيرها في منتفس واسع من الخيال جسّد فيه كل المقومات و المرتكزات الأساسية للزّواج الحقيقي.

تظهر لنا العلاقة بين "الأنا" و "الآخر" من خلال الرّواية، على أنّها علاقة وطيدة حيث أنّ "الأنا" في هذه الرّواية إستطاعت أن تجسّد "الآخر" الذي كان شخصية متخيّلة و لكن رغم خيالها إلاّ أنّها كانت حقيقية في نظر "الأنا" و بهذه العلاقة إستطاع "جرجار" الذي هو "الأنا" و "كاتيا" التي تمثل "الآخر" بالنسبة له أن يجسّدان علاقة حقيقة مستوحاة من واقع مليء بكل ما تحمله هذه العلاقة في طياتها من حبّ "لكاتيا" و هوس بها حتى وصل ذلك "بجرجار" إلى أن يصنع من خياله واقعاً قلّما يوجد له مثيل في الواقع الحقيقي و عليه تبقى علاقة الأنا بالآخر وهماً تصنعه الأنا لنفسها.

[1] ـ الرواية، ص:106.

[2] ـ المصدر نفسه، ص: 113.

الأنا بين الإنبهار بالآخر و خيبة الأمل:

جسّدت رواية "العطر الفرنسي" رؤية "الأنا" الإنبهارية بالآخر، فهذه الرّواية مثلها مثل الرّوايات العربية التي سبقتها و التي مازالت تدوّن في الوقت الحالي، لأنّ معظم الرّوايات العربية تطرّقت لهذه الرؤية، و كان هذا نتيجة تطلعات "الأنا" على أحوال "الآخر" و ما أنتجه من تطورات في كل المستويات.

ـ إنّ رواية "العطر الفرنسي" تناولت موضوع الإنبهار بالآخر الغربي من وجهات نظر مختلفة كون هذا "الآخر" يمثّل حضارة راقية و يساهم بدوره في تخليص "الأنا" من جميع مشاكلها و الضّغوطات المحيطة بها لأنّه في نظر "الأنا" الشّرقية يعتبر مصدر تفاؤل في الحياة عند الشّرقيين، و نجد في الرّواية قوّة إنبهار بهذا "الآخر" (كاتيا كادويلي) التي أشار إليها الكاتب كرمز تدّل على الغرب، و سكان الحي الذين يمثلون "الأنا" و من بينهم "علي جرجار" الذي أبدى إعجابه بهذا الآخر،" كانت في ذهني أشياء كثيرة أردت أن أنجزها قبل أن تأتي الفرنسية كاتيا و تضع ذلك العطر الذي أنتظره بشدة، و لا أدري لماذا. أشياء تخصني، و أشياء تخصها، و أشياء أخرى

سأعثر على الذين تخصهم بكلّ تأكيد....." [1]

[1] ـ الرواية، ص: 19.

إنّ رؤية الأنا للآخر تتمثل في الإعجاب و الدّهشة من هذا الآخر، فالمعاناة التي كان يعيشها سكان الحي و الأنا العربية بصفة عامة جعلته ينظر للآخر من هذه الزّاوية، و حتى عنوان الرّواية

من البداية يرصد هذا الإنبهار، فكلمة العطر جاءت لتمثّل هذا الآخر و تفتخر به لأنّ العطر هو أجمل شيء لدى الإنسان .

إهتمام الأنا بالآخر من خلال ما حقّقه هذا الأخير من إنجازات جعلت الأنا تنبهر به، "لم يكن يهمني بقدر وجهها الذي سأراه، عينها التي قد تكونان زرقاوين، أو سوداوين، أو بلون جديد لم تألفه عيوننا." [1]

إنّ هذه التّصورات التي كان يرسمها "علي جرجار" في ذهنه عن الفرنسية "كاتيا كادويلي" تعتبر من النّظرة الإنبهارية لهذا الآخر.

تأثّر "علي جرجار" و سكان الحي بهذه الفرنسية دليل على أنّ الذّات العربية متعلقة بالآخر الغربي تعلقاً مادياً و معنوياً، فقد كان إسم الفرنسية "كاتيا كادويلي" معلّقاً في جلّ محلات الحي، "و عركي صاحب البقّالة، و زملاؤه من أصحاب المحلاّت متعددة التّخصص، يصعدون سلالم من خشب، لينزلوا كاتيا التي كانت إسماً جديداً لمحلاتهم، كتبوه باللغة العربية و الإنجليزية." [2]

[1] ـ الرواية، ص: 19.

[2] ـ المصدر نفسه، ص: 80.

كان هناك نوع من التباهي بهذا الآخر من طرف سكان الحي، لأنّ هذا الحي كان يعبّر عن معاناة الأنا و ما تحمله من جمود فكري و تخلّف على جميع الأصعدة، فهذا التّقدم الذي أحرزته هذه الحضارة الغربية، إستطاع أن يستحوذ على فكر الأنا العربية.

إنّ هذا التّشبث بالآخر و الإعتزاز به ناتج عن إحتقار الأنا لنفسها و إحساسها بالعجز و الضعف أمام الآخر، فكانت أحلام و طموحات الأنا متعلقة به، و هذا ما وجدناه مجسدا و واضحا في رواية "العطر الفرنسي" لأنّ سكان حي غائب الشّعبي كانوا يطمحون بمستقبل زاهد و مشرق، فحياتهم انبت على الفقر و الجهل فكانت معيشتهم صعبة و معقدة للغاية، و سماعهم بقدوم الفرنسية زرع في نفوسهم البهجة و التّفاؤل حيث كانت تمثّل حلمهم الضّائع.

أنّ الإنبهار بالآخر في رواية "العطر الفرنسي" خلق نوع من التّعصب و التّشدد لدى الأنا " و رأيت الحي فائرا عن آخره، بعضهم يهربون من وجهي و بعضهم يحاولون تهدئتي أو الإمساك بي." [1]

فالهيام الذي كان في قلب علي جرجار تجاه كاتيا جعله يصل إلى مرحلة الجنون و أفقده السّيطرة على نفسه و هذا يحدث عندما يشتد تعلق الأنا بالآخر لدرجة تصل فيها الأنا إلى تتبّع الآخر في كلّ شيء و تقلّده حتى في العادات الخارجة عن السلوك الإنساني الحضاري و القيم الأخلاقية الخاصة بها، فتتخلى عن مبادئها و تنحى منحنى التّقليد الأعمى و تبدأ في الرّكض وراء هذا الآخر.

[1] ـ الرواية، ص: 139.

إنّ التّأثر بالآخر الغربي و التّمسك به و الإندهاش من ثقافته و التّعجب من منتجاته لم يجلب للأنا إلاّ المعاناة و الألم و الحسرة، فخيبة الأمل التي تركها الآخر في نفس الأنا زادت في حدّة مرارة الحياة، و البطل في الرّواية "علي جرجار" كان يمارس حياته بشكل عادي رغم ما كان يعانيه في حيّه، إلاّ أنّ دخول الآخر في حياته قلب معيشته رأسًا على عقب و وصل به الأمر في نهاية المطاف إلى ضياع حياته و مستقبله و كل من كان حوله من أجل هذا الآخر، "كنت في سيارة مكشوفة لونها أحمر داكن و قد رسم على جانبها شعار ما، يداي مقيدتان إلى هيكلها بسلاسل من حديد، و جسدي في قمة تهيّجه، يناضل، و يناضل، ولكن لا شيء سوى الألم و الدم." [1]

و هكذا كانت نهاية "علي جرجار" الذي إنبهر بهذا الآخر و عظّمه و مدحه و استمتع بوجوده داخل حياته. ولهذا إستطاع الآخر الغربي أن يجلب الأنا الشّرقية و يستحوذ على كل ما تملكه و قيّد أفكارها و حريتها، فمهما حاولت هذه الأنا أن تتعايش مع الآخر، إلى إنّها حتماً لن تصل إلى مبتغاها المنشود، فالأنا تحلم والآخر يحطّم، ومهما بلغت درجة هذه الأنا من علم و فكر إلاّ أنّ هذا الآخر سيبقى عائقاً في وجه الأنا و ما تسعى للوصول إليه، فالآخر هو شبح الأنا الذي يلاحقها أينما اتجّهت، و هذا المرض الذي يصيب الأنا أي مرض الإنبهار و الإندهاش من هذا الآخر ما هو إلاّ عجز و تفاني

[1] ـ الرواية، ص: 141.

و إحتقار الأنا لنفسها و كذلك فكرها المحدود الذي لم يستطع التّخلص منه و بنت آمالها و أحلامها على حساب الآخر.

ـ و ما يمكن الوصول إليه أنّ الآخر تمكّن من هذه الأنا فوقعت في قبضته و جعلها سجينة أحلامها.

الخاتمة

يتّضح لنا مما سبق تناوله بالدراسة في قضيّة الأنا و الآخر في رواية "العطر الفرنسي" "لأمير تاج السر" أنّ ثنائية الأنا و الآخر مصطلح تمّ تداوله في مختلف العلوم، و استخلصت هذه الأخيرة أنّ الأنا و الآخر بينهما اختلاف، فهناك من ربطت بين المصطلحين و جعلتهما متلازمان و متكاملان و هناك من فصلت بينهما فصلا كليّاً كما أنّ الأنا العربيّة في الرواية نظرت إلى الآخر الغربي نظرة إعجاب و انبهار، فحاولت هذه الأنا أن تقيم علاقة ودّية مع هذا الآخر، علاقة يمكن من خلالها، أن تحقّق هذه الأنا أحلامها و تتخطّى أزماتها و تغلق أبواب الألم و المعاناة و تفتح باباً جديدا يشرق على سعادتها و آمالها التي لطالما انتظرتها، و حاولت جاهدة الوصول إليها، إلاّ أنّ دخول الآخر حياة الأنا في الرّواية كانت نتائجه وخيمة، فأطفأ نار الحبّ و الإخلاص و الوفاء و أشعل نار الحقد و الإنتقام اتجاه هذا الآخر، وبالتالي فإنّ التّغيير الذي أحدثته الأنا في ذاتها لم يفتح الطريق المنسدّ في وجهها و عاد عليها بالألم و الحسرة و الإنهيار، وهذا كلّه كان سببه هو شدّة تعلق الأنا بالآخر و تأثّرها به و تمجيدها و الذي أدى بها إلى الوصول إلى ما لا يحمد عقباه.

و هكذا استطاع أمير تاج سر من رسم الخطوط العريضة لحوارية الأنا و الآخر و بيان نقاط الضعف و القوّة التي تحيط بالأنا العربية بصفة عامة كما وضح العلاقة بينهما.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم : رواية حفص

المصادر:

1. أمير تاج السر، رواية العطر الفرنسي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1431 هـ، 2010م.
2. إباض أبي بكر بهون علي، الحوار و تنمية العلاقات، المدرسة العلمية الجديدة، مكتب الدراسات العلمية، د.ط.
3. السيد عمر: الأنا و الآخر من منظور قرآني، تحرير: منى أبو الفضل و نادية محمود مصطفى، دار الفكر، دمشق، 2008.
4. عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير: مختصر تفسير ابن الكثير، تح: محمد علي الصّابوني، قصر الكتاب، البليدة، الجزائر، ج2، مج2، 1410هـ، 1990م.

المراجع العربية:

5. أحمد ياسين السليماني: التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، دار الزمان أحمد بروال و سهام بوزيدي: التعامل مع الآخر في الفكر الإسلامي المعاصر، مجلة البحوث و الدراسات، العدد 13، باتنة، الجزائر، 2012.
6. إسماعيل مهنانة: الوجود و الحداثة، هيدغر في مناظرة العقل الحديث، دار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 2012.
7. جاك دريدا: ما الأن؟ ماذا عن غد؟ الحدث، التفكيك، الخطاب، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط1، 2011.

8. حسين عبيد الشمري: صورة الآخر في الخطاب القرآني، دراسة نقدية جمالية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

9. حنفاوي بعلي، تمثلات الممنوع و المقموع في الرواية العربية المعاصرة، العلمية للنشر و التوزيع، عمان، د.ط، 2015.

10. خير الله عصّار: مقدمة لعلم النفس الأدبي، مؤسسة بونة للبحوث و الدراسات (وادي القبة) عنابة، الجزائر، ط1، 1429هـ ـ 2008م، ص: 148.

11. ميجان الرويلي: د، سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا و مصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002.

12. بشير بوبجرة محمد، الأنا و الآخر، و رهانات الهوية في المنظومة الأدبية الجزائرية، دار تفيلت، د.ط.

13. سعد البازعي: الإختلاف الثقافي و ثقافة الإختلاف، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2008.

14. سعيد بوطاجين، المحكي الرّوائي العربي، أسئلة الذات و المجتمع، دار المعية للنشر و التوزيع، عين الباي ، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2014.

15. صلاح الدين شروخ: علم الإجتماع التربوي، دار العلوم، عنابة، الجزائر، د.ط، 2004.

16. صلاح صالح، سرد الآخر، الأنا و الآخر عبر اللغة السردية، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2003.

17. عبد العزيز بوسهولي: مبادئ فلسفة التعايش، دار إفريقيا الشرق، المغرب، الدار البيضاء، د.ط، 2013.

18. عبد القادر الغزالي: الصورة الشعرية و أسئلة الذات، قراءة في شعر حسن نجمي، دار الثقافة للنشر و التوزيع، الدار البيضاء، ط1، 2004.

19. عبد مالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية "زقاق المدن"، ديوان مطبوعات الجامعة، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، د.ط، 1995.

20. عقيل حسين عقيل: منطق الحوار بين الأنا و الآخر، دار الكتاب الجديد، الأمم المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

21. العلامة ولي الدين عبد الرحمان بن محمد، مقدمة إبن خلدون، دار يعرب، دمشق، ج1، ط1، 1425 ـ 2004.

22. فيصل عباس: الإنسان المعاصر في تحليل النفسي الفرويدي، دار المنهل اللبناني، بيروت، ط1، 2004م ـ 1424هـ ص: 532.

23. ماجدة حمود: صورة الآخر في التراث العربي، الدار العربية للعلوم الناشرون، بيروت، لبنان.

24. المثنى مد الله سليمان العساسفة، اللقاء الحضاري بين الشرق و الغرب (دراسة مقارنة في مختارات من الرواية العربية و الهندية)، دار جليس الزمان، عمان، الأردن، ط1، 2014.

25. محمد إكيج: الإعتراف بالآخر الديني و مستلزماته الأخلاقية و الحوارية، شبكة ضياء للمؤتمرات و الدراسات.

26. محمد بن سباع: الفلسفة الفينومينولوجية الوجودية عند موريس ميرلوبونتي، من أولوية الوعي الى مساءلة الوجود، دار الروافد الثقافية الحمراء، بيروت، لبنان، ط1، 2014.

27. محمد شوقي الزين، الذات و الآخر، تأملات معاصرة في العقل و السياسة و الواقع، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط1، 1433هـ ـ 2012م.

28. محمد فكري الجزار: العنوان و سميوطيقا الإتصال الأدبي، دراسات أدبية، الهيئة المصرية للكتاب، د.ط،1998

29. نهال مهيدات: الآخر في الرواية النسوية العربية، في الخطاب المرأة و الجسد و الثقافة، جدار للكتاب العالمي، عمان، ط1، 1428هـ – 2008م.

المراجع المترجمة:

30. ديف روبنسون: كريس جارات: أقدّم لك ديكارت، تر: إمام عبد الفتاح إمام، المشروع القومي للترجمة، د.ط، 2001

31. سيجموند فرويد: الأنا و الهو، تر: محمد عثمان نجاتي، مكتبة التحليل النفسي و العلاج النفسي، دار الشروق، بيروت، لبنان،ط1، 1982.

المعاجم:

1. محمد عواد: معجم الطب النفسي و العقلي، أوّل معجم شامل بكل مصطلحات الطب النفسي و العقلي المتداولة في العالم و تعريفاتها، دار أسامة، عمان، الأردن، 2011.
2. مدحت عبد الرزاق الحجازي: معجم مصطلحات علم النفس، عربي ـ إنجليزي ـ فرنسي، مع مسرد إنجليزي ـ فرنسي ـ عربي و مسرد فرنسي ـ أنجليزي ـ عربي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1971.
3. مصطفى حسيبة: المعجم الفلسفي، دار أسامة، الأردن، عمان، د.ط، 2012.

المجلات:

4. تمثلات مجلة أكادمية تعنى بالدراسات الأكادمية في الأدب و اللغة و الثقافة و الفكر، يصدرها مخبر "التمثلات الفكرية و الثقافية: إبداع، تواصل، نقد"كلية الآداب و اللغات"، 36. جامعة مولود معمري ـ تيزي وزو، العدد الأول(1)، جانفي 2015.

5. حاتم زيدان، العيد جلولي: جمالية المراوغة و التوظيف الضمائري للأنا و الآخر عبر اللغة الشعرية، دراسة في قصائد مختارة من ديوان مسقط قلبي لسمية محنش، مجلة الأثر العدد29 جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر،2017.
6. حسين جمعة: تح: مالك صقور، الموقف الأدبي، مجلة أدبية شهرية يصدرها إتحاد الكتاب العرب في سوريا، العدد 492 نيسان 2012، السنة الحادية و الأربعون.
7. سوسن البياتي: النهضة الفكرية وأثرها في الصراع مع الآخر، مجلة أداب دمشق، سوريا، ط1،آداب الفراهيدي، عدد خاص مؤتمر الآداب الرابع، (العدد03)حزيران 2010.
8. عبد القادر رحيم ، العنوان في النص الإبداعي أهميته وأنواعه ، مجلة كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر ، بسكرة (الجزائر) ، العدد الثان
9. ي و الثالث ، جانفي ـ جوان ، 2008.
10. محمد كمال سرحان: الذات و الآخر في رواية (حب في كوبنهاجن)لمحمد جلال، مجلة جامعة الناصر، العدد السادس، مج1ـ يوليو ـ ديسمبر 2015.

الملتقيات:

11. العلاقة مع الغرب من منظور الدراسات الإنسانية، كلية الآداب، جامعة اليرموك، عالم الكتب الحديث، عمان، ط1، 1430هـ ـ 2009م.
12. تمثيلات الآخر في الرواية العربية: أبحاث ملتقى الباحة الأدبي الرابع، الإنتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2011.

المذكرات:

13. صالح إبراهيم نجم: جدلية الأنا و الآخر في الشعر الصوفي، على امتداد القرنين السادس و السابع الهجريين بحث أعد لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية و آدابها، 2012 ـ 2013.

المواقع:

14. سيرين أبو النجا، منذ 27 فبراير 2010/ 00:00 .www. Al hayat . com

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الإهداء

كلمة شكر

مقدمة ..... أ

مدخل

الآخر في الرّواية العربية

- الصّراع بين الشّرق و الغرب: 5

-صورة المرأة في الرّواية العربية: 11

الفصل الأول

حوار الأنا و الآخر في المنظومة الفكرية

ـ توطئة 17

ـ مفهوم الأنا و الآخر..... 18

ـ في القرآن الكريم..... 23

ـ في الفلسفة 30

ـ في علم النفس 38

ـ في علم الإجتماع 42

ـ العلاقة بين الأنا و الآخر..... 47

الفصل الثاني

تجليات الأنا و الآخر في رواية العطر الفرنسي

– توطئة 55

ـ قراءة في العنوان..... 56

ـ قضايا المتعلقة بالأنا (النّحن)..... 62

ـ صورة الآخر في الرّواية 71

ـ تقبل الآخر 78

ـ تمثلات العلاقة بين الأنا و الآخر 83

ـ الأنا بين الإنبهار بالآخر و خيبة الأمل..... 87

الخاتمة 93

قائمة المصادر والمراجع..... 95

الفهرس.....